20 me. année No 992

Le Caire 6 — 7 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٢ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ شوال سنة ١٣٧١ — ٧ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الامبراطورية ذات سبعة الارواح

للدكتور عمر حليق

حرب مستعرة فى الهند الصينية الفرنسية ، وثورات عنيفة فى تونس ، وقضية تحمل فى ثناياها الدم والنار فى مراكش والجزائر ، وتيارات قومية تجتاح مدغشقر ومحتلكات فرنسا الأفريقية ، وأعباء عسكرية ترهق كاهل الميزانية الفرنسية الآن ، وقد جاء البعث الألمانى بظله المخيف على حدود فرنسا ، وضائقات اقتصادية زعزعت كيان « الفرنك » وأخلت بميزان فرنسا التجارى والنقدى ، فزادت من حدة التوتر الداخلى بين هذه الأحزاب السياسية الكثيرة التى تؤلف البرلمان الفرنسى وتجعل الوزارة الفرنسية أضحوكة الأندية والمحافل السياسية . وبعجبى هذا العنوان الفكه الذى صدرت به إحدى الجرائد الدائرية أنباء القلاقل فى تونس فى الآنة التى سقطت بها الوزارة الفرنسية سقطات متتابعة خلال بضعة أسابيع ، فقد كان العنوان على النحو التالى :

تونس تشكو من أن الحالة الداخلية فى فرنسا متوترة

هذه المشكلات والأزمات والضائقات التى تواجه فرنسا اليوم ، تدفع المرء إلى أن يتساءل : هل الإمبراطورية الفرنسية فى طريق الزوال ؟

لقد استمع الناس إلى المسيو شومان وزير خارجية فرنسا ، يستعجم كل ما لديه من ظرف ولباقة فرنسية ويناشد الجمعية العامة لهيئة الأمم فى جلسة باريس ، بأن تتريث قليلا قبل أن تدين فرنسا بالعبث بحقوق المراكشيين . ففى جعبة فرنسا خطوط جديدة لسياسة مثالية ، لا لمراكش فحسب ، بل لجميع هذه الشعوب التى تعيش فى ظل العلم الفرنسى

ثم استمع الناس مؤخرا إلى مندوب فرنسا فى مجلس الأمن يعد العرب والآسيويين الذين تبنوا قضية تونس فى مجلس الأمن ، بأن فى حافظة وزارة الخارجية الفرنسية مشروعات مثالية لحل المشكلة التونسية . وكل ما تطلبه فرنسا فترة معقولة من الزمن ، تعد فيه الأمر وتنشر على الناس ما أعدته من أسس جديدة لعلاقة فرنسا بالشعوب الآسيوية والافريقية الخاضعة لها

وقد كان كاتب هذه السطور فى إحدى جلسات مجلس الأمن الأخيرة الخاصة بتونس ، يتحدث إلى صديق من أحد وفود أمريكا اللاتينية (وهى منطقة تربطها بفرنسا روابط روحية وثقافية معينة) وذلك خلال الدفاع البليغ الذى كان مندوب الباكستان فى مجلس الأمن السيد أحمد بخارى يفند فيه مزاعم فرنسا وتأويلاتها من القضية التونسية ، قال الدبلوماسى اللاتينى وقد تأثر من بلاغة البخارى : « أنتم أيها

العرب والآسيويون على حق فى مؤازرة تونس ، ولكن لم لا تعاون فرنسا الفرصة الكافية لإصلاح ما أفسده استعمارها القديم على ضوء ما وضعته اليوم من سياسة تقدمية تثبت علاقات فرنسا مع مستعمراتها على أساس جديد نبراسه التعاون الصادق والشركة الأمينة فى إطار « الاتحاد الفرنسى » على نحو ما انتهجته بريطانيا فى « الكومنويلث » وحلت به أزماتها مع الهند والباكستان والمناطق الأخرى التى كانت ملكا للتاج البريطانى ؟ ويبدو أن « لاتينية » صديق الدبلوماسى كانت أشد من نظرته السياسية ، فقد سارونى محذرا : لا تخطئوا فى قوة الامبراطورية الفرنسية برغم ما أثخنت به من جراح . فهذه الامبراطورية الفرنسية كالقطط لها سبعة أرواح

والواقع أن قسما من الرأى العام فى أوربا وأمريكا يشاطر هذا الدبلوماسى رأيه فى هذه الأرواح المتعددة التى تكمن فى الامبراطورية الفرنسية ! وليس من الصعب أن ندرك سر هذه النظرة إلى حاضر فرنسا . فصناع السياسة الفرنسيين يجندون كل ما توفره لهم ثقافتهم من ظرف ولباقة ومرونة لغوية ومنطقية ، لاقناع الناس بأن فى جعبة وزارة الخارجية الفرنسية حلا جديدا لهذه الأزمات والمضائقات التى تعانيها فرنسا فى آسيا وإفريقيا ، فيما تنشره فى الملأ العالمى من تفاصيل « الاتحاد الفرنسى » الذى تطمح فرنسا بواسطته أن توازى فى الحقوق والواجبات بين سكان فرنسا وسكان المستعمرات والمحميات الخاضعة للفرنسيين

ترى ما مبلغ الصدق فى هذا الادعاء وما حظ هذا « الحل » الفرنسى من النجاح ؟ وهل حقا أن الامبراطورية الفرنسية ذات سبعة أرواح ، أم أنها تمر الآن فى مثل ما مرت به الامبراطوريات فى التاريخ القديم والحديث من رقى وانحطاط

وحقيقة الأمر أن نعرف اليوم أنها أكبر إمبراطورية معاصرة بعد أن تضاءلت ممتلكات بريطانيا فى عالم ما بعد الحرب . فلفرنسا اليوم سيطرة مباشرة على حوالى ٧٧ مليونا من البشر يعيشون فى فسحة من الأرض مساحتها تزيد على ٤ ملايين ميل مربع ونصف ميل ، موزعة على القارات الخمس ، بحيث لا تغيب الشمس عنها . وهذه المساحات الشاسعة مرتبطة بفرنسا بخطوط أصبحت من الوهن بحيث لا يدعمها اليوم إلا الحديد والنار ، سواء فى الهند الصينية الفرنسية أم فى شمال إفريقيا العربية . وفرنسا اليوم برغم اياقتها فى إقناع الناس بأن الاتحاد الفرنسى فى صيغته النهائية سيحل محل الحديد والنار ، كدعامة للروابط الودية بين فرنسا ومستعمراتها وحمياتها ، إلا أن خبراء الشؤون الفرنسية لا يؤمنون بذلك ، ويصرون على أن جوهر سياسة فرنسا الاستعمارية اليوم ، يهدف إلى التخلص والتملص من المستعمرات فى آسيا والمحيط الباسفيكى ، وتركيز الجهد فى شمالى إفريقيا العربية ، وجعلها « امتدادا » جغرافيا للوطن الفرنسى ، وتحويل هذه المنطقة العربية إلى حصن منيع للثقافة والحضارة الغربية ، تحمى فرنسا فيه موات ثقافتها اللاتينية فى أمن ورخاء لا توفرها لها اليوم الأرض الفرنسية وما يحيط بها من أخطار الهجوم الألمانى والسيطرة الشيوعية » على حد قول كاتب أمريكى خبير بالشؤون الفرنسية فى العدد الأخير من مجلة « عالم الأمم المتحدة »

ولعل هذا يفسر لنا سر هذا التعنت الشديد ، والتحرش الصاخب الذى تعالج به فرنسا مشكلة تونس والجزائر ومراكش ، والقسوة الدبلوماسية العنيفة التى لجأت إليها فرنسا فى مواجهة الدول العربية والآسيوية التى تبنت قضية شمالى إفريقيا أمام الأمم المتحدة

إذن فخرافة « الحل » الفرنسى وفكرة « الاتحاد الفرنسى » وأسطورة الامبراطورية ذات السبعة أرواح ، ليس إلا رمادا تذره فرنسا فى عيون الناس ، لتعميهم عن حقيقة الهدف الذى تطمح فرنسا فى أن تعالج به مآزقها الامبراطورية ، وهو هدف واقعى يعترف بأن الامبراطورية الفرنسية ان تستطيع العيش حتى بسبعة أرواح ، وأنها اختارت أن تقصر قبضتها الشديدة القاسية على أقرب المناطق لها ، وهى شمالى إفريقيا العربية

وإذن فالامبراطورية الفرنسية فى تفكك وانحلال . وعلماء النفس يقولون لك إن المرء حين يعتريه نوع من التفكك والانحلال يميل إلى العنف والقسوة فى أغلب الحالات . ولعل هذا يفسر هذه القسوة العنيفة الشريرة التى تمارسها فرنسا ضد إخواننا الثائرة ، قسوة لا حدود لها ، فقد أهلكت الحراب

الفرنسية فى الجزائر منذ سنوات قليلة ٤٠ ألف شخص من الرجال والنساء والأطفال ، فى حملة « تأديب » واحدة . وحوادث تونس اليوم مثل واضح على هذه القسوة الفرنسية . ألوف من الفرنسيين ، قادة ورعاعا قابعون فى غياهب السجن وقيود الاعتقال ، وحراب سنغالية سوداء تفتك بالنساء والأطفال والرجال ، وكأنما تشهد بذلك حوادث « كاب بون » الأخيرة ، واضطهاد مرير يعانيه المراكشيون ، اضطهاد ومذلة تشهد بها مواخير منطقة « القصبة » فى الدار البيضاء ، حيث يعمرها بنات السادة والأشراف اللاتى شردهن الفرنسيون من جبال الأطلس والمدن المراكشية بعد ثورة الريف والثورات العديدة التى أتت فى أعقابها ولا تزال

ويحب كاتب هذه السطور أن يروى على سبيل المثال حادثة واحدة تشهد على « فضائل » الحضارة الغربية التى تنوى فرنسا أن تجعل إفريقيا العربية حصنا منيعا لها . فقد زرت مدريد منذ بضعة أشهر ، وأثار تطفلى أحد خدم فندق «ريتز» الذى كنت أقيم فيه ؛ فقد كان شيخا وقورا عنى الظهر ، فى عينيه مذلة وانكسار تبعث فى النفس الحنان له والرغبة فى مؤاساته . ولم يكن يعرف أننى عربى ، ولم أكن أعلم أنه من سادة قبيلة جليلة القدر فى جبال الأطلس المراكشية . ولما تم تعارفنا وأنفقنا الساعات يسرد على فيها مأساته السياسية ، وقسوة المنفى والتشرد على كرامته وشيخوخته ، لمحت أنه يخفى سرا لم أستطع استدراجه إلى الحديث عنه فى جلستنا الأولى ، فقد كانت كرامة الرجل وطيب محتده أعظم وأرفع من أن يعترف بسره الدامى إلى صديق عابر

سر وأى سر ! سيد فى قومه يوثق بالقيود ، ويشاهد الضباط الفرنسيين يفتكون بعرض بنته العذرى ، ويتناولونها الواحد بعد الآخر ، ثم يرمونها كما لو كانت قطعة من العظم إلى الجنود السنغاليين ، الذين كانوا يفتكون بامرأته فى حظيرة الدار . وقد وجد الرجل فى (مدريد) مصدرا للعيش ، ولكنه عيش ذليل ، يزداد مذلة كلما تذكر الرجل أن ابنته الآن عاهر فى ماخور ملحق بمعسكر فرنسى فى الساحل المراكشى . ولولا أن الانتحار محرم على المسلمين لما فضل هذا السيد الوقور الحياة يوما واحدا

ومع ذلك فدعوة فرنسا إلى جعل إفريقيا الشمالية حصنا منيعا للحضارة الغربية تجد — مع الأسف المرير — فى أوربا وأمريكا بعض الآذان الصاغية

وعلى قدر هذه الشناعة الفرنسية يتأجج حماس المغاربة العرب فى تحقيق السيادة القومية والتخلص من الاستعمار الفرنسى . ولذلك فإن كل ما يعترض هذه الحركات الوطنية فى تونس ومراكش والجزائر من عقبات ومصاعب ، إن تقوى على جعلهم حصنا للحضارة الغربية ، فالمسألة ليست مقصورة على كف أعزل يلاطم حربة حادة الرأس ، فجوهر الصراع فى المغرب العربى يستند إلى أعمق ما فى المبادئ من معتقدات خلقية ودينية بالاضافة إلى المبادئ السياسية والاقتصادية . ويبدو أن الامبراطورية الفرنسية قد أخطأت اختيار المكان والزمان لتحويل هذه المنطقة العربية الإسلامية إلى حصن منيع للحضارة الغربية .. فليست هذه هى المرة الأولى التى تواجه فيها العروبة والاسلام هذا النوع من الصراع الخلقى والدينى

ومادامت العروبة والاسلام راسخين فى بلاد المغرب ، ومادام الزمن يخدم الآن الشعوب العربية والاسلامية فى المعترك الدولى ، ومادامت دعائم « الحضارة الغربية » قد طوحت أو كادت تطوح بالوطن الفرنسى نفسه .. فإن زوال الامبراطورية الفرنسية أمر لا مفر منه حتى لو كان لهذه الامبراطورية سبعة أرواح ، فروح واحدة شريفة المبدإ .. صقلتها الآلام والتجارب .. كفيلة بأن تعمر وتشهد هلاك هذه الأرواح السبعة .

بقى أن يشارك العرب والمسلمون إخوانهم المغاربة فى هذا النوع من الصراع «الإمبراطورى» الأمين مشاركة جدية

نيويورك عمر عليبى

٣ ـ إندونيسيا

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

جنة الأرض :

الله في حسناء ذات عذار (جاوا) وربك جنة الأبرار
هذي الطبيعة قد بدت في قاعها للقلب فاتنة وللانظار
جمعت فأوعت من بدائع آيها سورا مفصلة وغير قصار
الله أكبر كم وراء جمالها أفق من السحر الحلال الساري
الله أكبر إنها من جنة الخلد التي وعد العباد الباري

هذه أبيات من قصيدة يتغنى فيها أحد الشعراء بجمال جاوة وسحرها ، وفيما يلي وصف لأشهر الجزائر الإندونيسية

جاوة أكثر الجزائر الإندونيسية عمرانا وسكانا وإن لم تكن أكبر مساحة . على أنه ليس معنى ذلك أنها جزيرة صغيرة جدا إذ تبلغ مساحتها ١٣٢٫٠٠٠ كيلو مترا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها ٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ خمسين مليونا من الأنفس وهو عدد ليس بالقليل. فسكان مصر عشرون مليونا ، وسكان بريطانيا بأسرها أقل من عدد سكان جاوة وحدها

ويلاحظ أن هذا العدد من السكان جعل جاوة من أكثر جهات العالم ازدحاما بالسكان، فإن نسبتهم تقدر بنحو ألف شخص في الميل المربع . وأنا أريد أن أصل إلى شيء آخر ، ذلك الشيء هو أن جاوة جزيرة غنية وفيرة الموارد كثيرة الخيرات . وإلا ما استطاع هذا العدد الضخم من السكان أن يعيشوا فيها ، ذلك لأن الإنسان لا يعيش إلا حيث تتوافر له سبل الحياة من مسكن وغذاء.. وهي جميعا موفورة في جاوة

وجاوة جزيرة مستطيلة تقع عند خط الاستواء، وتتوسطها سلاسل من الجبال، وتمتد على سواحلها الشمالية والجنوبية سهول خصبة يجري بها عدد كبير من الأنهار، يتجه بعضها إلى الجنوب حيث يصب في المحيط الهندي ، ويتجه بعضها شمالا حيث يصب في بحر جاوة

والجبال في جاوة جبال بركانية مما جعل تربتها غنية خصبة ، وقد ساعدت خصوبة التربة وغزارة الأمطار على وفرة الإنبات مما جعل جاوة من أغنى مناطق الإنتاج الزراعي في العالم

ومناخ جاوة والجزائر الإندونيسية لطيف معتدل برغم وقوعها عند خط الاستواء ، ويرجع السبب في ذلك إلى ارتفاع سطح الجزائر وإلى إحاطة البحر بها.. فقد خفف هذان العاملان من حدة الحرارة وجعلا المناخ لطيفا معتدلا

وجاكرتا عاصمة الجمهورية الإندونيسية وعاصمة جاوة، ويمكن أن تسمى قاهرة الشرق الأقصى ، فهي تشبه القاهرة إلى حد بعيد ؛ فكلتاهما تأخذ بأسباب المدنية الحديثة : عمارات شاهقة ، وسيارات فاخرة، وشوارع مزدحمة، ومحال تجارية كبيرة، ورجال ونساء يأخذون بأسباب المدنية الحديثة في حياتهم وأزيائهم

وقد نمت جاكرتا كثيرا بعد الاستقلال وتزايد عدد سكانها واتسعت رقعتها ، وتعتبر مركزا هاما للطيران ، وهي سهلة الاتصال بباقي أنحاء جاوة وبباقي جزائر الإندونيسية والعالم، سواء بطريق البحر أم بطريق الجو

وفي جاكرتا فنادق ودور سينما ومطاعم من الدرجة الأولى، وفيها حديقة للحيوان وأحواض لأنواع السمك المختلفة وأماكن للألعاب الرياضية على اختلاف أنواعها

وفي جاكرتا مدارس ابتدائية وثانوية وعالية وعدة كليات للجامعة الإندونيسية ، منها كلية الطب والحقوق ، وفيها متحف ومرصد يعتبر من أقدم المؤسسات العلمية في جنوب شرق آسيا إذ يرجع تاريخ تأسيسه إلى ١٨٥٨

ومحطة الإذاعة بجاكرتا تملك أقوى أجهزة للارسال والاستقبال في جنوب شرق آسيا ، وتذيع يوميا بجميع لغات

ويبلغ عدد سكان جاكرتا مليونين من الأنفس

سومطرا:

إحدى الجزر الكبرى.. ويفصلها عن شبه جزيرة الملايو مضيق ملقا. وتبلغ مساحتها ٤٧٣٦٥٩ كيلومترا مربعا وسطحها جبلي، وفيها بحيرات وأنهار كبيرة تصلح للملاحة ، وبها مزارع كبيرة للمطاط والتبغ والشاي ، وبها معمل لتجفيف الشاي يعد أكبر معامل الشاي في العالم على الاطلاق

ويبلغ عدد سكانها عشرة ملايين نسمة، وعاصمتها ميدان دبان وقد كانت هذه الجزيرة أول مهد الإسلام فى إندونيسيا

بورنيو :

أكبر الجزائر الإندونيسية بعد غينيا الجديدة ، إذ تبلغ مساحتها ٥٣٩٤٦٠ كيلو مترا مربعا، ويتبع ثلثها الشمالى لبريطانيا، أما الثلثان الباقيان فقد كانا تابعين لهولندا ، وبعد الاستقلال أصبحا جزءا من الجمهورية الإندونيسية . ويبلغ عدد سكانها حوالى مليونين ونصف تقريبا ويشتغلون بالتجارة والزراعة والصناعة وصيد السمك ، وعاصمتها بانجارماسين

جزيرة بالى :

وتقع شرق جاوة ويفصلها عنها بوغاز بالى ، وهى جزيرة صغيرة ، إذ تبلغ مساحتها ٥٤٠٠ كيلو مترا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها ١٫٣٦٢٫٣٥٠ نسمة ومعظمهم وثنيون

وهذه الجزيرة مشهورة بطبيعتها الجميلة وفنونها وآثارها التى تجذب السياح إليها من جميع بقاع الأرض ، وممن زارها شارلى شابلن وبرنارد شو ورويلز

ويعنى أهلها بالرقص بنوع خاص ، إذ يعتبر الرقص فى نظر سكانها جزءا ضروريا لحياتهم ولا عجب فى ذلك ، إذ أنهم يعتبرونه طقسا من الطقوس الدينية . والقرية التى لا تملك جوقة موسيقية أو فرقة راقصة تفقد احترامها وقيمتها فى عين السكان فيبادرون إلى تلافى هذا النقص ورفع هذا العار

هذا وصف مختصر للجزر الإندونيسية الهامة

إندونيسيا رايا :

قامت فى السنوات الأخيرة محاولات لإقامة إندونيسيا العظمى، وهى تهدف إلى جمع جميع الجزائر الإندونيسية تحت راية واحدة، أو بعبارة أخرى أن تكون الملايو والفلبين والجزر الإندونيسية الحالية دولة واحدة ، وبهذا التوحيد تبلغ مساحة إندونيسيا رايا ٩١٠٫٥٦٢ ميلا مربعا ، وعدد سكانها ٩٣٫٧٨٠٫٨٣٣ نسمة ، ٩٠ ٪ منهم مسلمون . حقق الله الآمال

الحياة الاجتماعية :

تمتاز الحياة الاجتماعية فى إندونيسيا بأنها حياة شرقية إسلامية، فالعلاقة بين أفراد الأسرة متينة، والتعاون بين السكان سواء فى القرية أو فى المدينة قائم . هذا وحياة إندونيسيا الاجتماعية مصبوغة بالصبغة الإسلامية إلى حد بعيد ، فالأخلاق الإسلامية تتغلغل فى نفوس الإندونيسيين تغلغلا عميقا ، فتراهم يكرهون الرياء والتظاهر ، ويتمسكون بالدين تماما

وفى أوائل القرن العشرين كانت الحياة العامة فى إندونيسيا من فكرية واجتماعية وسياسية فى حالة خمول وركود ، وما لبث الإندونيسيون أن تنبهوا إلى حقيقة مركزهم، فتكونت الجمعيات التى تهدف إلى الاصلاح، وكان فى مقدمتها الجمعية المحمدية وقسمها الخاص بالنساء المسمى بالعائشية ، وكان شعارها « قليل الكلام كثير العمل» وكانت ترفض الاعتراف بفرع لها إلا إذا قام بعمل اجتماعى ملموس مثل إنشاء جامع أو مسجد الخ

وبفضل نشاط المصلحين والجمعيات تنبه الوعى القومى فى إندونيسيا حتى حقق الله لها الاستقلال

والمرأة الإندونيسية لم تعرف الحجاب ولكنها كذلك لم تعرف الابتذال ولا الاختلاط المزرى، فلم تدخل حماما مختلطا ولا مرقصا ، ولم يستطع المستعمرون أن يفتحوا ماخورا واحدا فى البلاد !!

من أجل هذا أقبل الإندونيسيون على أفلام مصر السينمائية أول الأمر لأنهم يحبون مصر ، ولكن لما وجدوا فى الأفلام المصرية من ابتذال انصرفوا عنها وقاطعوها. وهكذا أضر مخرجو السينما بسمعة مصر وبمركزها !!

وقد قامت المرأة الإندونيسية بنصيبها فى ميادين النشاط الاجتماعى ، وكانت ما تزال مثلا كريما للمرأة الكريمة . ومن أعظم نساء إندونيسيا المرحومة رادين كارتينى ، فقد تزعمت حركة الإصلاح الاجتماعى ورسمت فى رسائلها «من الظلمات إلى النور» الخطة المثلى التى تسير عليها المرأة الإندونيسية فى جهادها الإصلاحى . وبفضل تعاون الإندونيسيين رجالا ونساء تحقق استقلالهم

وكلام سهل

أبو الفتوح عطيفة

حول قبر الاسكندر

للأستاذ عبد المنعم مختار

« يقول المعاصرون بأن قبر الإسكندر نفس مسجد النبي دانيال نفسه إن لم يكن تحته والذى كان يدعى منذ القرن السابع عشر باسم مسجد سيدى الاسكندر »

رأى القدماء

إن المصادر القديمة تحدثنا بأن الإسكندر أوصى قبل وفاته بأن يدفن بواحة الإله آمون (سيوة) ولكن بطليموس سوتير عمل على دفنه بمدينة ممفيس حسب عادة المقدونيين فى الدفن . وجاء بطليموس الثانى الفيلادلفي بعد والده ونقل الجثة إلى الاسكندرية ، وأخبرنا بوزنياس عن ثورة الرأى العام عليه واعتبر نقله إلى الإسكندرية إجراما وشناعة أكثر مما فعله بزوجه بأخته أرسنيوى — لإقلاقه راحة البطل العظيم فى مضجعه الأخير — وكذلك لم يلق من بلاطه وأعوانه أى استحسان لهذا النقل لجدث ملك عظيم اعتبر فى مصاف الآلهة . وابتنى له قبراً فى غاية الفخامة والإبداع ، وكان الضريح داخل الأرض ، أما البناء الذى أقيم فوقه فكان يشتمل على سلم للدخول كعادة المقابر والمعابد الإغريقية ، ثم فناء مربع هو الناووس (اوبيستودوم) ثم ممر طويل يصل إلى الضريح الموجود به النعش وقد ألحق به معبداً للكهنة القائمين بإجراء الطقوس الدينية : ثم تطوق المعبد أروقة دائرية شيدت فى عصور متأخرة

ولما كان الاسكندر مؤسس الدولة الإغريقية فقد اتخذ الملوك مدافنهم حول قبره بعد حرق جثثهم كما حدثنا بوليب بالتفصيل ، وقد شيد فيلادلفيوس مدفنا لوالده سوتير ، ولنفسه ولزوجته . ويحدثنا كوريون عضو متحف الاسكندرية فى سنة ٨٠ بعد الميلاد عن القبر بمخطوطه الذى نشره الدكتور بوتى ... أما قبره هناك فكان مزينا بالرخام وهو مضجع فى ناووس محفور اسمه على غطائه ، وحول نعشه قبور من الحجر السماق أقل فخامة من قبره هي قبور الملوك السبعة وزعيمهم بطليموس سوتير ... وتخرج بنتيجة هامة حققها ودرسها كل من الدكتور بوتى والأب [1] ليس ملحة فى أن القبر [2] كان فى منطقة صارت مدفنا ملكيا بوسط المدينة

الآراء الحديثة

وجاءت الآراء الحديثة بجديد عن قبر الإسكندر كذب البعض دفنه بالاسكندرية والبقية التى حبذتها انقسمت على أنفسها إلى ثلاث فرق : الأولى فى أن القبر تحت مسجد النبي دانيال وهذا ما سأناقشه تفصيلا ، والآخر فى منطقة المقبرة الشرقية ، ورأى آخر بعيد الاحتمال هو بالمقبرة الغربية

وإنى أتقدم برأيى المتواضع وقد يكون على خطأ وقد يكون صائباً .. وإن كان فيه مسحة من الصواب فإنه ليقارب الآراء الأخرى البعيدة الاحتمال والتصديق

قيل بأن قبر الإسكندر كان فى [3] منطقة طريق السيما المتقاطع [4] مع شارع كانوب (النبي دانيال وفؤاد الأول) وهو يمتد من بحيرة مريوط جنوبا إلى شاطئ البحر الأبيض شمالا بالقرب من شبه جزيرة منزل تيمونيوم والمكتبة ودار الحكم والسوق والجمنازيوم .. وقد ورد بأشعار هيروفداس وآراء الدكتور برتشيا بأن معبد السزاريوم ومسلات كليوباترة الشهيرة كانت بأول الطريق ، وإن بنهايته يوجد منتزه بيوم . إذاً فقبر الإسكندر إن وجد فمن البداهة أن يطل على الميدان والمنتزة لكى تظهر روعته ، وإن كان على الميدان فهل هو عن يمين أو يسار الشارع ؟ يقول استرابون لوصفه القبر بأنه كان عن يمينه عند دخوله الإسكندرية . فهل دخل الاسكندرية من طريق شارع السيما من جهة البحر ؟ أم عن طريق الميناء الداخلى بمريوط ؟ إنه قد دخل بطبيعة الحال عن طريق السيما ومنه [5] فإن القبر عن يمينه أى يمين الشارع . والذى أراه عند تطبيق

(١) مجلة الجمعية الأثرية بالاسكندرية عدد ٢١ سنة ٢٥

(٢) مجلة كلية الآداب بالاسكندرية عدد ٤ ص ١٢٩ الأستاذ زكى على ، تاريخ مصر الأستاذ إبراهيم نصحى

(٣) فؤاد فرج — الاسكندرية ص ١٧

(٤) Zoghed Etuds sur l'art Alexandrie

(٥) مجلة كلية الآداب عدد ٢ ص ١٦٢

مبادئ هندسة تخطيط المدن القديمة والرجوع إلى تخطيط (٦) المدن القديمة كمدينة صور مثلا نجد أن القبر يوجد على الجهة اليمنى لوجود كثير من المخلفات ، منها مخلفات معبد على الطراز الدورى وأعمدة كورنثية بالجهة اليمنى من الشارع ، ولما توسع الملوك بنوا مقابرهم حول هذا الضريح كما يجزم الأستاذ زكى على ببحث له بمجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول المجلد الثانى ، والدليل على ذلك وجود أعمدة بجوار مسجد سيدى عبد الرازق فى نفس الشارع وهى ولا شك معابد تكميلية لقبر الاسكندر أو المعبد ذو الأروقة الدائرية التى بجوار القبر . والذى يرجح هذا الرأى وجود بقايا مقابر ملكية اكتشفتها البعثة الفرنسية بالقرب من ذلك المكان (مسجد العطارين — وشارع محطة مصر القديمة) والعثور على ناووس ينسب إلى الاسكندر والذى أدى إلى رأى الأستاذ إلرويس (٧) المشهور عن نقل الاسكندر ودفنه فى تابوت نقل من قبر أمير فرعونى من الأسرة الثلاثين

معبد ومقبرة الاسكندر

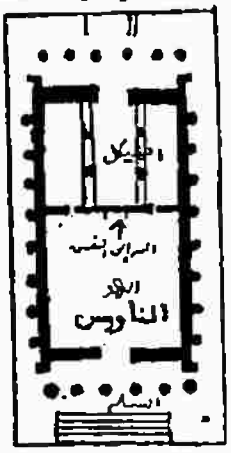

رسم تخيلى للموقع
نتيجة الرسم ٢٠١

القرن السادس عشر

ذكر الرحالة مارمول بأن قبر الملك إسكندر يقع على (٨) بعد ٣٠٠ متر من كنيسة القديس مرقص الموجودة بشارع النبى دانيال ، وعند التطبيق نجد أنه لاينطبق قياسيا على مسجد النبى دانيال، ثم إن المقياس إن عين مكانا وكان صحيحا فى تعيينه مكان القبر فهو لم يذكر هل المكان يوجد عن يمين أو يسار المكان المتخذ مبدأ للقياس . واستنادا (٩) على رأى الدكتور بوتى فى أن القبر يوجد بالجهة اليمنى وبوسط المدينة ، ومن الحفريات التى أجراها الأستاذ (١٠) حسن عبد الوهاب بمنطقة المسجد ، وبالرجوع إلى أبحاث كل من الأستاذ(١١) أرثر لين أمين متحف فيكتوريا ولبرت الدكتور (١٢) الن ويس المنشورة بنفس المجلة يتضح بأن منطقة القبر والمسجد والقبر هى من بقايا العصور العربية القديمة . وقد فصل الأستاذ حسن عبد الوهاب فى المسألة بأن القبر ليس موجوداً بتاتاً بهذا المكان وخرج إلى التأكيد بأن منطقة كوم الدكاس (كوم الدكة الحالية) كانت مقبرة إسلامية منذ القرن الثالث الميلادى

هل كان قبر الاسكندر معروفا فى العصور القديمة ؟

إن يد التخريب قد أحدثت بهذا الهيكل كثيرا من الآثار ، فقد سلب بطليموس الحادى عشر تابوت الإسكندر الذهبى وبدله بآخر من مادة زجاجية (وقيل من نوع(١٣) من الرخام الشفاف جدا) كما زادت كليوباترة الأخيرة على فعل سلفها بأن سلبت المقبرة كل ما هو ثمين . ولم يقتصر الغزو الأجنبى على فتح وتدمير البلاد، بل عمل على سلب محتويات المقابر . وفى القرن الثالث انقادت الثورات بالحروب الدينية ضد الوثنية والحرب العامة لتفكك الامبراطورية الرومانية فنالت الاسكندرية منه الأهوال ومنها المقابر الملكية التى أصبحت أثرا بعد عين (لما هو معروف عن تعصب المسيحيين الأوائل ضد كل ما هو وثنى) حتى لنجد القديس (١٤) يوحنا فى خطبة ألقاها فى ختام القرن الرابع يتساءل « خبرونى أين يوجد قبر الاسكندر »

(٦) كتيب مدينة تدمر (وزارة المعارف السورية)
Cardiner objmpio. oxford 1925 delphes. pierre de la coste. Menettere Picard la saulfture Antique de Flndles, Paris 1945

(٧) ص ٤ مجلة كلية (لارب بالإسكندرية عدد ٤)

(٨) الأب لوس جلوب . مجلة الجمعية الأثرية عدد ٢ الإسكندرية فؤاد فرج ص ٧٠

(٩) مجلة كلية الآداب عدد ٢ ص ١٦٢ . حولية المتحف الرومانى

(١٠) تاريخ المساجد الأثرية . ١٩٤٦

(١١) مجلة كلية الآداب عدد ٥ ص ١٤٣ ، ١٤٤

(١٢) نفس المجلة عدد ٤ ص ١٠

(١٣) نفس المجلة عدد ٢ ص ١٦٢ الأستاذ زكى على

(١٤) تاريخ الأمة القبطية . ال نصر ١٩٠١ ميلادية مجلة الجمعية الأثرية الملكية

وهناك مصدر آخر هام وهو كتاب جغرافية مصر (١٥) لأميليو يقول ... إنهم عند ما كانوا ينزعون الأنقاض من المكان المسمى بكوم الديماس (كوم الدكة) عثروا على أدوات من الذهب يرتقى عهدها إلى عهد الاسكندر وذلك عند بناء كنيسة هناك باسم النبى إيليا وبوحنا فى زمن توفيل بطريق الاسكندرية فى القرن الرابع ... ومن قوله يتضح بأن بقايا القبر كانت موجودة بكوم الديماس ، فهل نزعت تلك الأنقاض من تحت التل — الذى نشأ فى عصور تلت بناء المقبرة فغطاها — لبناء تلك الكنيسة وهى التى تكبد مجهوداً جباراً فى إزالة الأتربة للوصول إلى تلك الأنقاض فى مستوى المدينة القديمة .

هل القبر هو قبر النبي دانيال ؟

اتضح من البحث أنه لا أصل لتسمية المسجد باسم النبى دانيال لأن هذا النبى الكريم دفن ببلاد الميلام بمدينة السويس كما هو وارد فى الكتب المقدسة وطبقا لتحقيقات كثيرة تفيد ذلك ، منها رأى فضيلة الأستاذ بشير الشندى المسهب . وهذا المسجد لم يظهر للوجود إلا فى خلال القرن السادس عشر تقريبا . ولم يذكره أحد من المؤرخين والرحالة من العرب قبل ذلك التاريخ علما وهم معروفون بذكر التفاصيل والاطناب وذكر الروايات المتعددة والمصادر المتضادة . فلم يتعرضوا لهذا

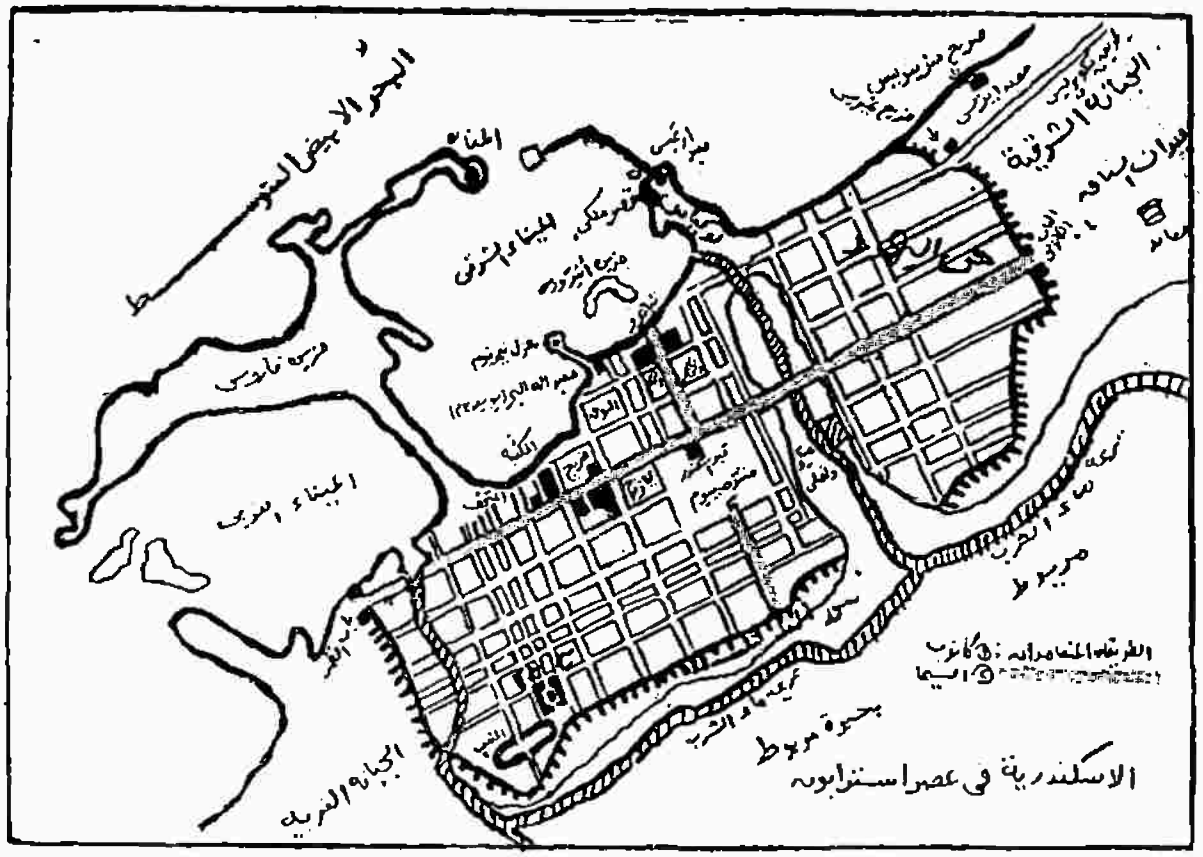

ومن هذا نخرج بنتيجة هامة وهى أن المؤرخ لم يكن له قصد معين فى تعيين مكان رفع الأنقاض والتى ولا شك انتزعت من المكان القريب جدا ، الذى يكاد يقارب بناء الكنيسة الموجودة على التل والتى بنيت عليه ثم قام على أنقاضها على مر الزمان مسجد يعرف باسم النبى والملك اسكندر ، واقربه من قبر الاسكندر سمى بهذا الاسم

(١٥) جغرافية مصر

المسجد ولو بإشارة بسيطة مما يدل على عدم وجوده فى تلك الفترة من الزمن — فالحافظ السافى وصف كوم الديماس بأنه مقبرة إسلامية ، وجاء البلوى فى القرن السادس الهجرى فوصف المدينة وآثارها والفنار ولم يتعرض لذكر المسجد . ثم تلاه ابن جبير (١٦) والبغدادى (١٧) اللذان وصفا كل آثار الاسكندرية

(١٦) رحلة ابن جبير
(١٧) كتاب الإفادة والاعتبار

عدا المسجد وكان يستحق بعض عنايتهم إن وجد. ثم جاء بعدهم مؤرخو القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادى مثل ياقوت(١٨) والمقريزى (١٩) والسخاوى (٢٠) وغيرهم وكانت أخبارهم سلبية عن المسجد. حتى إن الرحالة الأجانب فى تلك الفترة الذين وصفوا دقائق المدينة وخباياها لم يتعرضوا بأى إشارة عن المسجد والقبر مثل سـبرياك دى إنكوناه، وليون الافريقى. ثم جاء الرحالة مارمول فى منتصف القرن السادس عشر فذكر أن قبر النبى إسكندر كان فى وسط المدينة بين الخرائب قريبا من الكنيسة المرقصية المجاورة لمسجد النبى دانيال والمسافة بينهما ٣٠٠ متر أى أن هناك قبر الملك والنبى إسكندر وقبر النبى دانيال. وهذا دليل على أن القبر ليس بمسجد النبى دانيال

ومن الوقائع السالفة نخرج بنتيجة هامة جد وهى أن القبر زال من الوجود منذ القرن الرابع الميلادى. ثم إن المؤرخين العرب لم يتعرضوا لشئ غير موجود حتى ظهر أخيرا بعد أحد عشر قرنا باسم النبى اسـكندر فى عصر المماليك. فليس من المعقول إن كان المسجد موجودا أن يتجاهله القوم أحد عشر قرنا من الزمان لم يتعرض له فى خلالها أى مؤرخ

فى العصر الحديث :

وفى القرن الماضى ادعى أحد تراجمة القنصلية الروسية أنه وجد سردابا تحت مسجد النبى دنيال ومنه شاهد ناووس الملك الزجاجى وحوله قراطيس وكتب من البردى. والظاهر أنه قد قرأ قول استرابون فى وصف المقبرة، حتى إن محمود الفلكى باشا عند ما عين المكان وجد أنه مملوء بالحجارة وقطع الرخام علاوة على الرطوبة التى تتلف الكتب (وهذا المكان هو قباب وصهاريج ماء رومانية) ثم إن هناك رأيا آخر فى أن التابوت من مادة رخامية شفافة جدا وليس بزجاج فكيف ادعى الترجمان بأنه من الزجاج ؟ جاء الأستاذ حسن عبد الوهاب وأجرى حفرياته عند ترميم المسجد فوجد صهريج ماء ملاصقا للايوان العربى المسجد وأجرى فيه وفى منطقة حفريات (الصهريج وطابقيه ومسارب مائه الثلاثة) فظهر بأن تلك المنطقة مقامة على مقبرة إسلامية ثم وصل إلى مستوى المدينة القديمة فلم يجد أى دليل على وجود ما ينم عن وجود مبانى إغريقية حتى ولا بقايا كنيسة النبى إيليا التى بنيت بالقرن الرابع فى نفس المكان. والظاهر بأن هذا الترجمان قد وجد ممرا ولكنه غير قبر الاسكندر وربما كان أحدى هذه الصهاريج المنتشرة بهذا المكان

خريطه لموقع المنطقة الاثريه التى يدور حولها البحث

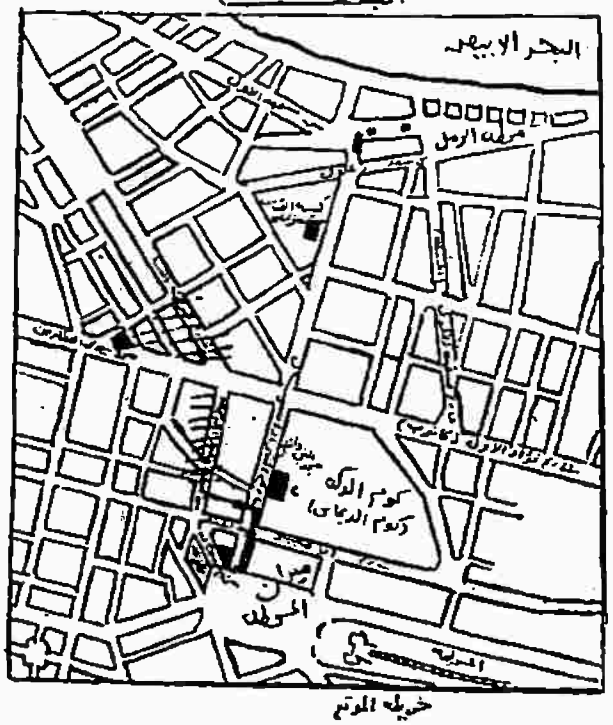

ويتضح بأن قبر الاسكندر موجود بمنطقة السيا ولكنه

(١٨) معجم البلدان
(١٩) المواعظ والاعتبار
(٢٠) تحفة الأحباب

ليس تحت المسجد لأن المسجد وأساسه وطراز مبانيه إسلامية ، وبرغم أن شكل القبرة والمسجد قريب من الطراز الاسلامى فالدكتور بريشيا يرجع أصل المسجد إلى تلك الكنيسة الرومانية القديمة، ولذا كانت مؤثرات المسجد المعمارية غربية عن الفن الاسلامى

أين مقابر القبر الرومانى بالضبط ؟

بالرجوع إلى أصول (٢١) تخطيط مدينة الاسكندرية الذى أجراه ديتوكرات والمقارنة بآراء المهندس هيبوداموس فى ذلك الفن ومن التطبيقات والآراء التى (٢٢) بحثها الأثريون عن احتمال وجود القبرة فى مركز المدينة — نجد أن الإسكندر دفن فى منتصف المربع الذى يطل على منتزه بيبوم من الجهة اليمنى — ومكان القبر حاليا المربع الذى تدخل فيه الحديقة الصغيرة التى بآخر شارع النبى دانيال وجزء من الشارع وشارع كنيج عثمان حتى مبانى مصلحة التليفونات ثم منطقة شارع عبد المنعم وما وراءها . ومن الاستناد إلى الآثار وبقايا المبانى التى عثر عليها عند تخطيط ميدان المحطة والميدان والباقى جزء منها — بقايا أعمدة تحت تلك الحديقة — يتضح بأن واجهة المعبد كانت منتزه وميدان محطة مصر التى هى منتزه بيبوم . أما مجموعة الأعمدة التى بجوار مسجد سيدى عبد القادر فإنها تكون (أوبيستودوم) Opistodome الذى كان يقام به الطقوس الدينية ، ومن المحتمل أن تكون جزءا من البهو والأروقة الدائرية التى كانت حول القبرة . (والتى كان يقوم بها الكهنة الذين يخدمون المقابر الملكية) والبقايا الموجودة على يمين القبرة بالمطازين وشارع محطة مصر القديمة وشريف على بقايا مقابر الملوك السبعة

ومن وصف القبرة الذى أوضحه استرابون يتضح بأن الضريح والمعبد يقارب طراز (٢٣) معبد البارثينون من حيث الفناء المربع وأن السلم المرتفع الذى يتبعه البهو مباشرة يشابه معبد la fortune virile theselon فى طرزه

هذا هو رأيى وقد يكون على خطأ ولكن فيه أجزاء كثيرة على صورة صحيحة

وهناك رأى له وجاهته اضطررت إلى التحقق من مناهج بحثه ودراسته ويقدمه المهندس السكندرى جان نيقولا بيدس. وهو « أن قبر الإسكندر ليس فى منطقة السيما إذ ليس من المعقول وجود مقابر الملوك فى حى الأعمال بالقرب من التياترو والسوق والمكتبة والجمنازيوم بل هو فى حى الدانا (حى الدانا) الشرق بالقرب من الباب الكانوبى حيث معابد إيزيس وضريح مثلا ونيوتيس وتميزيس حيث القبرة الشرقية المشهورة بالقرب من قبر كليوباترة وأنطونيوس كما يذكرنا به ديوكاسيوس »

وقد استند المهندس على أدلة فى تاريخ هندسته من تاريخ تخطيط المدن القديمة بعد دراسة عشرين عاما وقد استعان بقول استرابون السالف الذكر « أن قبر الإسكندر على يمينى عند دخولى المدينة » والذى يعضد رأيه أن المصادر التى استعان بها تذكر لنا أن القبر بالقرب من قبرى كليوباترة وأنطونيوس القريبة من معبد إيزيس الموجود برأس لوكياس (السلسلة حاليا) حيث مقابر ضاحية اليوسيس والحى الملوكى وحيث مقابر الأكابر والعظماء . فهل من المعقول دفن الإسكندر فى منطقة السيما البعيدة فى داخل البلاد بالقرب من السوق ؟ أم بالقرب من مدخل المدينة ألا وهو الساحل

وإن رأيه فى قول استرابون يمكن تطبيقه على مكان القبر بالقرب من مدخل المدينة من الجهة اليمنى إن دخل عن طريق البر، والمعروف عنه أنه دخل عن طريق البحر لاستعماله فى الوصف.. البحر جدا شماليا لها . وقد عين المهندس مكان القبرة بالشارع الذى يفصل مقابر الكاثوليك عن الأرمان بالشاطبي

وإن العثور على قبر صديق الاسكندر وقائد من قواده بتلك المنطقة والعثور على مقابر فى سنة ١٨٦٦ بالقرب من الباب الكانوبى الملاصق لسور المدينة المقدونى فى الشمال الشرقى حيث معابد دعيتر الذى بناها بطليموس الثانى والتى تخص المبعوثين الدينيين وا كتشاف مقابر لأكابر الجند فى نفس المنطقة محفورة فى الصخور ومكتشفها هومارت ديتيسيون ١٨٩٤ والكونت دى زغيب ١٨٩٢ تؤيد قول الأستاذ نيقولا بيدس — وإن كان لم يعتمد على تلك المراجع — من أن المقبرة الشرقية جزء من مدافن العظماء لأنها المكان القانونى للدفن حسب الطقوس والتقاليد اليونانية .

21. Suard Essais sur l'Indendification des monuments d'— Alexandrie 1895

22. Gauthier un nouveau decret trilingue stalémaque paris 1932 Gardiner obymfis oxford 1925

وهذه الآراء تؤيد رأيه نظريا ولكنها ليست أدلة يقينية واضحة بل نظريات هندسية استنتاجية ، فإن كانت تنطابق في مدن أخرى . فإن ظروف مدينة الإسكندرية من حيث الظواهر الطبيعية تخالف ذلك . فأرض المدينة رملية — فأنى للبنائين القدماء حفر تلك المقابر العظيمة في باطن الأرض والتي أصبحت من الشروط الأساسية في طقوس الدفن عند البطالسة والرومان

وهناك رأي آخر لا أجد بدا من سرده ، هو أن المستر أان رو مدير متحف البلدية سابقا يرى أن الاسكندر دفن بالمقبرة الغربية حيث المدينة الرومانية، وقد أخبرنا استرابون بأن تلك المنطقة كانت مروجا ترعى فيها القطعان. وأظن أنه ليس هناك أدلة منطقية تعضد هذا الرأي. والأمر الطريف أن الأستاذ الن ويس يقول إن الإسكندر دفن في منطقة مسجد العطارين واستشهد بالعثور على تابوت منهوب) ولم أجد عبارة أخرى مخففة أقدمها للقارئ) ومسروق من إحدى مقابر ملوك الأسرى الثلاثين ودفن به فكأن الإسكندر ذلك الفازي الجبار افتقر إلى تابوت من الحجر فما بالك بتابوت من الذهب

هذا هو مجمل الآراء التي قدمتها ومن ضمنها رأيي . وعسى أن أكون قد وفقت في المساهمة في كشف النقاب عن قصة قبر الإسكندر ، تلك الألغاز المجهولة لمؤسس مدينتنا المحبوبة الاسكندرية . ثم هذه هي مشكلة قبره الذي أبى علينا الزمان التشرف بمعرفة أخباره فما بالك برؤيته

المراجع الفنية

(١) مجموعة كبيرة من الخرائط عن المدينة القديمة من ممتلكات قسم الخرائط بمكتبة الفنون الجميلة بمتحف فاروق الأول للفنون الجميلة العصف الروماني

(٢) الحفريات التي أجريت بالمدينة منذ ١٨٥٠

عبد المنعم مختار

مختارات من الأدب الفرنسي
شعر ونثر
للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

هلن كلر

الصماء العمياء البكماء

للأستاذ نقولا الحداد

حقا أن هلن كارن الدكتورة في العلم والفلسفة أعجوبة أمريكية تفوق جميع عجائب أميركا التي هي مجموعة عجائب العالم في هذا العصر

هذه مرأة مرضت في النصف الأول من عامها الثاني فققدت جهازي عصبها البصري والسمعي فأصبحت عمياء صماء بكماء . بكماء لأن الإنسان لا يمكن أن يتكلم إذا لم يسمع ، يعني أنها فقدت الحاستين الرئيسيتين من حواسها الخمس ، فلم يبق لها إلا الذوق وهو حاسة يندر أن تستفيد منها في التفاهم ، وحاسة الشم وقد تستفيد منها جزءاً يسيراً جدا من الفهم والتفاهم . وحاسة اللمس أو حاسة التحسس في أناملها وكفها وظاهر جسمها . ولذلك انتقلت حاستا البصر والسمع إلى أناملها وكفها وسائر بشرتها ثم إلى جميع بدنها . فأصبح التحسس هو الشعور الرئيسي عندها ، وإنما كان لها من قوة العقل وشدة الذكاء ما يمكنها أن تقرأ وتكتب (بقلم الرصاص) ، وأن تقرأ في كتب العميان بلمس الحروف النائئة وأن تقرأ بقرامن أصابع معلمتها وسائر أهلها وذويها ، وتخاطبهم بحركات أناملها على أكفهم . وأخيرا تعلمت أن تلفظ الكلمات التي يفهمها الذين يلازمونها ويباشرونها

هذا ما يدهش له الناس في الغرب والشرق ويعجب به الأميركان وهم منشئو أميركا الحديثة أم العجائب ، فلا بدع إذن أن ندهش نحن إذ نرى هذه المرأة وهي تخاطبنا من يد سكرتيرتها وأن لا يصدق بعضنا أنها عمياء صماء ، وأن يظنوا أنها الحيلة أميركية للدعاية ، وليس في الدنيا فكرة أسخف من هذه الفكرة

أجل هي أعجوبة الزمان ، وربما كان أعجب منها أو مثلها عجباً معلمتها السيدة سوليفان التي لازمتها ١٦ سنة إلى أن أخذت درجاتها العلمية العالية

مس سوليفان مولودة فى سيرنفيلد من ولاية كاستشوتس التى فيها مدينة بوسطن المشتملة على جامعة هرفرد المشهورة . وهذه السيدة فى أول عمرها أصيبت بمرض أفقدها بصرها ، ولكنها لم تدخل معهد العميان إلا فى الرابعة عشرة من عمرها . وبعد حين عاد إليها بعض بصرها ، وبقيت فى المعهد إلى أن أتمت علومها وبدا منها ذكاء حاد باهر ، وقدرة فائقة على التعلم والتعليم ، وبعد نهاية دراستها اتفق أن طلب الكبتن آرثر كلر أبو هلن إلى الأستاذ أجنوس رئيس هذا المعهد يرجو منه أن يرشد إلى معلمة لابنته ، فأرشده إلى مس سوليفان هذه

والكبتن آرثر كلر من قرية توسكومبيا من ولاية آلاباما وله هناك أملاك واسعة يستغلها . وله غير هلن ابن يدعى جايمس وابنة صغرى تدعى ميلرد . وزوجة تدعى كايت أدمس وقد تزوجها أرملا وهو أكبر منها سنا

ورحبت أسرة كلر بسوليفان ترحاباً حارا . وكانت هلن بين الخامسة والسادسة من عمرها ، فرأتها مس سوليفان طفلة مملوءة حياة وعافية ، جميلة الطلعة مشرقة المحيا ، ولها عينان كأنهما ترجستان ، ليس فيهما عيب (لأن العيب فى المركز البصرى فى الدماغ) ورأت أنها كثيرة الحركة تجرى من مكان إلى مكان بلا انقطاع . وتلمس كل شىء ولا يقدر أن تكسر الآنية التى تعبث بها أو تتلف المتاع الذى تمسكه

فى أول الأمر تهيبت مس سوليفان تربية هذه الطفلة وتعليمها . ولكن لما لها من دراية بهذا الصنف من الناس الناقص الحواس ومالها من الحذق فى تربيته ، وبما استشفته من الذكاء فى هلن عزمت على أن تجعل منها إنسانا فائق الخواص والصفات ، وقد جعلت

رأت أنها صعبة المراس جدا شديدة القدرة بالغة النشاط ، وأنها ما دامت بين أهلها يصعب ترويضها وتدميثها ، فانتقلت بها إلى منزل صغير لأهلها فى أرض لهم لا تبعد أكثر من ميلين عن توسكومبيا ، وأقامتا وحدهما هناك ، وكان الطعام يرسل إليهما من البيت كل يوم ، ولكنهما ما لبثتا هناك أكثر من أسبوعين فعادتا إلى البيت

ورأت سوليفان أن تطويعها بالقوة والعنف يزيدها شكاسة وعنادا وشراسة فقررت أن تملكها بالمحبة ، فكانت تهبها كل يوم ما تودّه من حلوى وفاكهة ولعب أطفال ، وكان أهلها يتفاهمون معها بإشارات تعودوها ، فتحسنت عشرتها قليلا . وقررت المعلمة أن تعلمها الحروف الأبجدية بكتابتها على كفها بأصابعها ، وأول كلمة أدخلتها فى عقلها بالكتابة كلمة لعبة doll إذ رسمت الحروف على كفها ثم أعطتها اللعبة . ثم أخذت اللعبة منها وجعلتها تطالبها بكتابة الحروف على كفها (كف المعلمة) ثم كتبت المعلمة بأصابعها على كف هلن كلمة « كمك » وأعطتها كعكة ، وهكذا فعلت فى إعطائها اللبن ووعاء اللبن الخ

وكان لهلن ذكاء عجيب فما علمت كلمة إلا حفظتها حالا ولا تنساها ، الأمر الذى سهل على المعلمة مهمتها جدا . وبدأت هلن تفهم أن لكل شىء اسماً يرسم على كفها . ثم شرعت تعلمها الأفعال مثلا : شرب ، أكل ، جاء ، راح ، فكانت إذا جاءت ترسم على كف معلمتها كلتى : « لبن ، هلن » فتصحح المعلمة الجملة هكذا : « هلن تريد لبنا » ثم « هلن تريد أن تشرب لبنا »

على هذا النحو نجحت المعلمة فى تعليمها فى شهر واحد مئة كلمة ، وما وجدت صعوبة إلا فى تعليمها الأسماء المجردة عن المادة كالحب أو الشر أو الطيب أو السرور . وفى آخر السنة كان رأس مالها تسعمائة كلمة ، وهو قدر كاف للتفاهم والتدرج فى كسب كلمات أخرى

وعلمتها فى خلال ذلك قراءة كتب العميان الابتدائية ثم الكتب الأخرى فنجحت بسرعة فائقة حتى صارت تقرأ الكتب الراقية . ثم علمتها أن تكتب حروف العميان بواسطة الآلة الكاتبة للعميان فبرعت عاجلا وصارت تكتب بها ما تريد أن تقوله

وماذا يعنم أن تستعمل الآلة الكاتبة التى يستعملها المبصرون ، فما لبثت أن صارت تكتب بها ما كانت تكتبه على الكف ، صار هذا بعد أن دخلت معهد بركنز للعميان

أما كيف صارت تكتب بيدها بقلم الرصاص الكتابة التى يكتبها الناس فأنقل رسالتها بهذا الصدد إلى مجلة سنت نيكولاس فى يونيو سنة ١٨٩٢ وكان عمرها حينئذ ١٢ سنة

« عزيزى محرر مجلة سنت نيكولاس

« يسرنى جدا أن أرسل إليك خط يدى لأنى أود أن يعرف العميان والبنات المبصرون الذين يقرأون مجلة سنت نيكولاس

كيف يكتب العميان . وأظن أن بعضهم يستغربون كيف نكتب السطر معتدلا لا اعوجاج فيه . عندنا لوحة مسطرة سطورا منخفضة قليلا نضعها بين الصفحات حين نكتب . فالخطوط المتوازية في اللوحة تجرى عليها السطور . فحين نضغط بقلم الرصاص على السطر المنخفض يبقى السطر معتدلا . فترسم الأحرف الصغرى في القلم المنخفض والأخرى المرتفعة ترتفع إلى فوق القلم والأخرى ذات الذيول إلى تحت القلم . نمسك القلم باليد اليمنى ونرشدها بإبهام اليد اليسرى لكي نعلم أننا نرسم الحروف في مواقعها بلا ضلال . في بادئ الأمر تصعب الكتابة جدا على هذا النحو ، ولكن بالممارسة والمواظبة تصير سهلة جدا ، وحينئذ يمكننا أن نكتب رسائلنا إلى ذوينا وأصحابنا . إن الذين يزورونا يودون أن يروا الطلبة العمى كيف يكتبون »

وقد نشرت مجلة آخر ساعة نموذجا من خط هلن فكان آية في الإتقان والجمال واعتدال السطر

ولم تدع المعلمة سوليفان وسيلة للتفاهم إلا علمتها إياها . ومن ذلك أنها علمتها نطق الكلمات وإن كانت لم تسمعها ، وطريقتها أنها تضع أصابعها على فم المتكلم وإبهامها على حنجرته وتجتهد بعد ذلك أن تقلد حركات فمه وحنجرته فتصدر اللفظ مشابها لصوت المتكلم ولكن ليس بوضوح تام . وهذا يستلزم أن تعرف كل كلمة صوتية تقابل الكلمة المخطوطة بحروف العميان أو المنقورة على كفها بأصابع معلمتها ، ولا يخفى ما في هذا من المئنة والصعوبة ، ولكنه يقضي حاجة أحيانا . فأحيانا تتكلم هلن بجملة لا يفهمها السامعون ولكن معلمتها أو سكرتيرتها تفهمها وتنقولها للسامعين . وقد تعلمت هنا في مصر أن تلفظ جملة « السلام عليكم »

قرأت كتابها « قصة حياتي » ، وهو يشتمل على ثلاثة أقسام : —

الأول تاريخ حياتها ، والثاني معظم رسائلها التي أرسلتها لأساتذتها وصواحبها وذويها بخط يدها بالحروف المعروفة على الطريقة المشروحة آنفا . والقسم الثالث تقارير المعلمة مس سوليفان التي كانت ترسلها كل حين بعد آخر إلى مس صوفيا هوبكنز الموظفة في معهد العميان ومنها تتصل بالأستاذ أنا كندوز مدير المعهد . وهذا القسم هو أقصر الأقسام الثلاثة ولكنه أهمها ؛ لأنه تبسيط لكيفية تعليم هلن ووصف لسلوكها وأعمالها

ولما نجحت مس سوليفان في التفاهم معها بالأصابع وبالكتابة وبالضرب على الآلة الكاتبة للعميان أدخلتها إلى معهد بركنز للعميان . وبقيت تلازمها حتى انتهت من العلم هناك . وإذا كانت تضرب الكلام على آلة العميان الكاتبة فلا مانع من أن تضرب الكلام بالكتابة العادية على التيب ريتر الذي نستعمله نحن

نعم إن هلن محرومة حاسة السمع ولكن جسمها يحس باهتزازات الأصوات وبارتجاجات الدوي فهي من هذا القبيل أرهف إحساساً من السامعين والمبصرين

في ذات يوم حضرت سباق كرة القدم بين جامعتي هرفرد وبابيل ، وتقول في إحدى رسائلها إنه كان في ذلك المكان نحو ٣٥ ألف نفس . وكانت تحس بدوي التصفيق الهائل . قالت كنا نخرج من جلدنا لشدة وقع الدوي علينا . وكنا نظن أننا في ساحة حرب

وفي يوم أحد كانت هلن ومعلمتها في نيويورك وحضرتا الصلاة في كنيسة القديس برتولوميوس . وكان الواعظ دكتور جريز يتكلم ببطء وكانت سوليفان تنقل إليها كل كلمة تقريباً . وبعد نهاية الصلاة طلب هذا الواعظ إلى المستر ورن الذي يعزف على الأرغن أن يعزف شيئاً لأجل خاطر هلن . ووقفت هلن في وسط الكنيسة تماماً حيث تكون ارتجاجات ذلك الأرغن العظيم قوية . تقول هلن : وكنت أحس أمواج صوت الأرغن تصدمني كما تصدم أمواج البحر السفينة

ويوم كان أهل هلن ينتظرون المعلمة سوليفان كانت هلن تشعر بحركة غير اعتيادية في البيت وأن هذه الحركة لاستقبال شخص . وإذا كان أبوها قادماً في عربته تشعر بقدومه . كان إحساسها البدني يفوق إحساس البشر . وهنا في مصر كانت تعرف حين يصورها المصورون لأنها كانت تشعر بصدمات النور اللامع لوجهها وبدنها ... وسئلت مرة كيف تشعر بالتصفيق الحديد فقالت أحس الأرض تميل تحت قدمي

وفي معهد بركنز استعدت هلن للدخول في كلية رادكليف لكي تدرس بكالوريوس علوم ، فكتبت إلى رئيس الكلية أن

الأمثال فى حياة اللغة

للأستاذ حامد حفنى داود

— ٢ —

عرفنا أن الأمثال ولغة الحديث توءمان . وأن هذين التوءمين — وحدهما — استطاعا أن يسايرا الحياة على ما فيها من خير وشر ، وما فيها من فصاحة مقبولة وهجنة ممقوتة ، ثم هما استطاعا أن يكشفا عن أصول العربية الفصحى تارة ويحملا رواسب العامية الإقليمية الطارئة تارة أخرى ، ثم هما إلى جانب هذا وذاك يستجيبان للحياة ويعيشان فى نفوس الناس، ويمثلان كل ما طرأ على اللغة من نماء مطرد وتطور مستمر يدل دلالة قاطعة على أن اللغة كائن حى يعيش ويتطور كغيره من الأحياء

إذا عرفنا كل ذلك فإننا بلا شك نستطيع أن نحدد موقفنا من العربية إذا أردنا أن نأخذ بزمامها ، وأن ندفعها إلى الصف الأول الذى كانت تحتله فى صدر الإسلام — يوم كان القرآن وكانت الفصحى وقبل أن تختلط بالعجمي وتصاب بما أصيبت به من رواسب اللغات الإقليمية سواء فى مقاطعها وإعرابها وتراكيبها

فقد هبطت اللغة العربية — بعد أن خرجت من الجزيرة — فى أقاليم جديدة لم يتكلم أهلها بالعربية من قبل . وانتشرت فى هذه الأقاليم بسرعة عجيبة لم يعهد تاريخ اللغات مثلها . وساعدها على هذا الانتشار أنها كانت تحمل لواء الدين الجديد فى يمينها ، والانقلاب السياسى والتحول التاريخى الأكبر فى يسارها . ولكن هذا الانتشار — على الرغم من كل هذه السرعة — لم يتم فى يوم وليلة وإنما كان نتيجة تفاعل مستمر بين اللغتين « الغازية » و « المحلية » دام وقتا من الزمن تحققت فيه الغلبة — تارة — للغة الغازية التى فرضت نفسها فى مصر وبلاد المغرب وتخوم العراق والشام ، على حين استمسكت أقاليم أخرى كالهند وبلاد فارس بلغاتها المحلية بعد أن اعتصمت بعوامل كثيرة حفظت لها طابعها القديم وأبقت عليها كيانها وثقافتها . وهى عوامل كثيرة نترك الحديث عنها إلى موضوع آخر يتعلق بطبيعة اللغة ومقوماتها ، ولكن الشئ الذى لابد من ذكره أن العربية استطاعت أن تترك أثرها فى كلتا الحالتين لأن « الأثر » نتيجة حتمية لـ « المؤثر » مهما كان ضعيفا ، كما أن « التفاعل الكيماوى » نتيجة حتمية لـ « المواد القابلة للتفاعل » مهما اختلفت كيانها

ففى مصر تغلبت العربية على اللغة القبطية ثم تفاعلت بلغات أخرى كالفارسية والتركية . ولا زلنا نرى آثار هذه اللغات فى (العامية المصرية) . أما فى العراق فقد كانت رواسب الفارسية أعمق وأشد ظهورا فى عاميتهم . على حين نرى شيئا من آثار التركية وقليلا من السريانية فى بلاد الشام

ونحن إذا تتبعنا أقاليم الصنف الثانى التى لم تغزها اللغة العربية غزوا تاما رأينا أنها خضعت بالمثل لنظرية (المؤثر والأثر) وهذا على الرغم من قوتها السياسية ، وعلى الرغم من ابتعادها عن مركز الثقافة العربية . فأنت ترى أن اللغة الفارسية القديمة التى تسمى (الفهلوية) تتطور بسبب هذا التفاعل وتبدو فى ثوب جديد هو (الفارسية الحديثة) . وقد أثبت البحث اللغوى أن ستين فى المائة من ألفاظها عربى صرف . كما ترى أن اللغات الهندية التى تمت بصلة إلى الفصيلة (السنسكريتية) نالت ما نالته أختها من الأثر فظهرت إحداها فى ثوب جديد هو (اللغة الأردوية) . وإن ما اشتملت عليه الأردو من ألفاظ عربية لأكبر دليل يؤيد استمرار هذا التفاعل

يسمح بحضور مس سوليفان معلمتها معها لكى تنقل إليها الكلام والأسئلة. وهى تقدم الأجوبة مكتوبة على الآلة الكاتبة . فسمح ، ولكن لما كانت تتقدم للامتحان لم يسمحوا لمس سوليفان أن تترجم لها .. بل كانوا يقدمون لها الأسئلة مكتوبة بلغة العميان على الآلة احترازا من أن تدس مس سوليفان لها بعض ملاحظات . ما دخلت هلن امتحانا إلا خرجت فائزة

البقية فى العدد القادم

نقولا الحداد

وإذا كانت الأمثال — كما قدمنا في المقال السابق — تلونت بالبيئة وتطورت مع الزمن كما تلونت لغة الحديث وتطورت تماما — أدركنا بوضوح ما بين الأمثال ولغة الحديث من سمات عجيبة كشفها أمامنا الاستقراء ولم نصنعها صنعاً أو نبتدعها ابتداعا ، ثم إذا كانت الأمثال — وحدها من بين فنون النثر — هي التي استطاعت أن تستمر مع الزمن وتلين لهذا التفاعل الدائم كما استمرت ولانت لغة الحديث — كان خليقا بنا أن ندرك وجوه الشبه بينهما وأن نقف عندها وقفة المصلح اللغوي الذي يتلمس الطريقة المثلى في النهوض بأمر اللغة ، وإن موقف المصلح اللغوي هنا يشبه تماماً موقف العالم الطبيعي الذي يتوسل إلى معرفة الشيء بشبيهه . ويقيس ما غمض عليه من المسائل بما وضح أمامه منها حتى يصل من البسيط إلى المركب ، أو قل هو كالطبيب المجرب الذي يستخدم دماء الأصحاء في حقن أجسام المرضى من بني الفصيلة الواحدة

والأمثال — عنده — هي النص الأدبي الحي الذي لم يعتوره الجفاف أو يلحق به الجمود أو تحجبه الصنعة أو يحول فيه التكلف والتعمل دون تذوق الناس له سواء الخاصة منهم والعامة . فما أشد حاجة ذلك المصلح إلى أن يتخذ من مادة ذلك النص المصل الواقي الذي يعيد به الحياة إلى رميم هذه الفنون اللغوية الأخرى إذا أراد أن يرفع من مستوى تعليمها ونشرها

وهكذا يصبح تعليم الأدب في مدارس المرحلة الثانية بأنواعها قاصراً عن أداء الرسالة التي ننشدها من تذوق النص الأدبي ما دمنا لا نعالجه في هذه الصورة الحية . بل إن تدريس الأدب للناشئة في صورة ما يشرح لهم من جيد الشعر والنثر يعتبر دراسة كلاسيكية تقليدية لا تصلح لهذه المرحلة من التعليم ، لأن الصلة بين هذه النصوص وبين نفوس التلاميذ تكاد تكون مفقودة ، بعيدة كل البعد عن متناول مداركهم . وهي صورة بتراء لا تحقق الجانب العملي المقصود في الدراسات الأدبية الحية — إلا إذا أردنا أن نخرج ناشئة يستوعبون ولا يتذوقون ، ويفهمون الفكرة فهما طيراً ولا يمارسونها ممارسة عملية . إن مثل هذه الدراسات لا يمكن بحال أن تخرج أديباً إنشائيا يعالج الفكرة الأدبية ويواجهها في حيز حياته وبيئته ، ولكنها تخرج ببغاء يردد ما لا يفهم وإن فهم شيئا أو عالجه فهو بسفاد الغراب أو بالكربت الأحمر أشبه

* * *

وهنا يحق لك أن تسألني : وما علاقة تدريس الأدب بالأمثال في حياة اللغة ؟ وكيف تستغل هذا الفن في تدريس الأدب لتلاميذ هذه المرحلة — إن كانت هناك علاقة

أما عن علاقة الأمثال بفنون اللغة وآدابها فلا سبيل الى تكراره بعد الذي ذكرته لك من صلات وطيدة بين لغة الحديث والأمثال والحياة . بينما نحس بخطورة البحث وأهمية التطبيق حين نفكر في هذا الفن ونبحث فيه على أنه وسيلة من وسائل إصلاح اللغة والنهوض بآدابها . وهي في المدرسة غير المجتمع العام

فني المدرسة أرى أن تستغل دراسة الأمثال العربية الأصيلة في الفصول الأولى من مدارس هذه المرحلة . ويرجع المدرس في ذلك إلى الكتب المعتمدة في هذا الباب ككتاب الأمثال للميداني . ويلتقط منها بقدر الطاقة ما يقابل الأمثال العامية في معناها ومبناها ومرماها . ويستطيع المربي الحصيف أن ينجح في تدريس الأدب العربي في هذه الصورة نجاحاً محققا ؛ وأن ينهض بالثروة اللغوية والأدبية للأسباب الآتية :

١ — أن نصوص الأمثال في ذاتها سهلة ميسورة مهما التوت مفرداتها اللغوية ؛ لاتساع معناها وجرس مبناها ، ولأن لها في الغالب ما يقابلها من الأمثال العامية ولو من ناحية المعنى والمرمى

٢ — أن الناشئة في هذا المقام يحاطون بجو عربي خالص ، وذلك حين يعرض المدرس إلى دراسة ما حول « المثل » من تاريخ وأحداث طريفة دعت العربي إلى إرساله في هذه الصورة وهو في بيئته العربية

٣ — وبقدر ما يكون الحديث عن الأمثال وأسباب إرسالها قريباً من جو القصة — يكون نجاح المدرس في دراسة نصوصها ، لأن التلاميذ في هذا الدور حديثو عهد بدراسة

القصص فى مدارس المرحلة الأولى . وطبيعة الأمثال وانتشارها فى بيئتهم تغريهم بحفظها واستعمالها فى مواضعها من الكلام ، وتحملهم على تتبع مايقوله المدرس وما يصطنعه من إثارة المشكلات خلال هذه الدراسة . وفى ذلك نجاح كبير وتحقيق للأهداف التى تدعو إليها التربية الحديثة . وهو علاج الفكرة فى حيز الحياة نفسها !

٤ ... وأخيرا يستطيع المدرس فى دراسة نصوص الأمثال على الرغم من ضآلة طولها أن يحقق من الفائدة مالا يستطيعه فى تدريس درس من الشعر أو فن من فنون النثر الأخرى ، لأن هذه الأمثال تعتبر درسا فى الحياة الاجتماعية عند العرب ودرسا فى التاريخ ودرسا فى الأساليب العربية ودرسا فى مفردات اللغة — بالإضافة إلى إحياء تراثنا الأدبى القديم

وإذا زود التلاميذ بدراسة النصوص الأدبية فى هذه الصورة وعودوا على هذا النوع من التذوق سهل عليهم أن يتذوقوا نصوصا من الشعر والنثر فى السنوات المقبلة . كما يستطيعون بعد ذلك أن يزودوا بمجالة من النصوص تمثل تطور التاريخ الأدبى فى كل عصر . وعند ذلك يتحقق الغرض المقصود من تدريس الأدب فى هذه المرحلة — الذى يهدف إلى التذوق ومقابلة البحث

* * *

ذلك فى المدرسة . . أما فى المجتمع فيتسع مجال الإصلاح ويتضاعف واجبنا فى النهوض بحياة إخواننا العامة : الفكرية والأدبية . ولدينا من إقبال عامة المثقفين على القصص وكتب الأدب ما يشجع على رفع مستوى العامية والنهوض بها حتى تصبح أقرب إلى الفصحى مما كانت عليه بالأمس القريب . ولن يكون ذلك إلا بعلاج لغة الحديث من الطريق الحساس الذى يميل إليه العامة وتألفه نفوسهم .. ألا وهو «الأمثال العامية» فنقدم إليهم قصصا مبسطة يزدون فيها بهذه الأمثال . والكاتب البارع هو الذى يستطيع بلباقته أن يصل بين حاضر الأمثال العامية وغابرها ، وأن يقرب أذهان القارئين من أصولها الفصحى حتى إذا حقق هذا الغرض أخذ بأيديهم إلى متابعتها فى كتب الأدب . وهذا واجب كتاب القصة فى مصر وواجب المتأدبين من علماء النفس

ومن هنا تتقارب الخطى وتسد الثغور وترمم الثلمات ويرأب الصدع ونقف من الطبيعة موقف الحكيم المتفنن الذى يستطيع بلباقته أن يتحكم فيها وأن يوجهها توجيها علميا لا يتنافى مع قوانينها . أريد أن أقول : إننا بهذا القدر نستطيع أن نوجه الماء المطرد فى اللغة العربية ككائن حى ، وأن نقوم من اعوجاجها فى نفوسنا — لا فى ذاتها — وذلك العمل جدير بالتنفيذ ، وهو أعظم مما نقوم به اليوم من تعريب وتصويب

حامد حفنى داود
أستاذ اللغة العربية والتربية بمدارس المعلمين

رفائيل
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
إحدى روائع القصص العالمى الواقعى
لشاعر فرنسا الخالد
* لامرتين *
ثمنها ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

شوقيتان لم تنشرا فى الديوان

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

— ١ —

تمهيد

يعلم قراء «الرسالة» الزاهرة مدى إعجابى بشعر أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقى بك، ويعلم القراء الكرام أيضا تعصبى له وتفضيلى شعره على شعر غيره من الفحول الكبار، ومن تحصيل الحاصل قولى أن نهضة مصر الأدبية الحديثة قامت على أكتاف ثلة نادرة من أفذاذ الرجال، كان على رأسهم شوقى الذى استطاع بما وهبه الله من عبقرية ملهمة وقريحة وقادة وعلم غزير، أن يثب بالشعر العربى إلى قمة الإبداع، بعد أن كان محنطا بقوالب من المحسنات اللفظية السخيفة، فهو بحق الحد الفاصل بين موت الشعر وحياته، لأنه رحمه الله لم يكن كغيره من شعراء القريحة، أمثال الرصافى وحافظ، يعتمد على محصوله اللغوى من الألفاظ والمرادفات، ومحفوظه من عيون شعر من سبقوه من الأفذاذ، كزميله سامى البارودى، بل كان نسيج وحده، وطرازا لا شبيه له، لأنه كان يغترف من بحر خضم متلاطم الأمواج، هو بحر العبقرية والإلهام والنبوغ، ولو لم يكن كذلك لما تقدم شاعر النيل لمبايعته هاتفا:

أمير القوافى قد أتيت مبايعا ... وهذى وفود الشعر قد بايعت معى

ولا أجد فى معرض الحديث عنه وعن شعره أصدق ولا أكمل من قول المرحوم الرافعى، إذ قال فيه: (١)

«هذا الرجل انفلت من تاريخ الأدب لمصر وحدها كانفلات المطرة من سحابها المتسار فى الجو، فأصبحت مصر به سيدة العالم العربى فى الشعر، وهى لم تذكر فى الأدب إلا بالنكتة والرقة وصناعات بديعية ملفقة، ولم يستعض لها ذكر بنابغة ولا عبقرى. ولولا البارودى وصبرى وحافظ فى المتأخرين وكلهم أصحاب دواوين صغيرة لما ذكرت مصر بشعرها فى العالم العربى. على أن كل هؤلاء لم يستطيعوا أن يضعوا تاج الشعر على مفرق مصر ووضعه شوقى وحده

كل شاعر مصرى هو عندى جزء من جزء ولكن شوقى جزء من كل. والفرق بين الجزءين أن الأخير فى قوته وعظمته وتمكنه واتساع شعره جزء عظيم كأنه بنفسه الكل. ولم يترك شاعر فى مصر قديماً وحديثاً ما ترك شوقى، وقد اجتمع له ما لم يجتمع لسواه، وذلك من الأدلة على أنه هو المختار لبلاده فساوى الممتازين من شعراء عصره وارتفع عليهم.. إن شوقى من النفس المصرية بمنزلة المجد المكتوب لها فى التاريخ بحرب ونصر.. الخ»

وإلا فدلونى على شاعر غير شوقى تمكن أن ينظم فى كل الفنون والأبواب فيجيد ويبدع؟ أنا أعلم أن أكثر الشعراء يجيدون فى لون من ألوان الشعر فيشتهرون به كما حدث بالفعل. فأبو نواس مثلا أجاد فى الخمريات وأبو العتاهية فى الزهديات والنابغة فى الاعتذاريات والمتنبى فى الحكمة وهكذا.. أما أن يجيد الشاعر فى كل باب فهذا لم يحدث فى تاريخ الشعر العربى قط ولم يتح منذ الجاهلية حتى الآن إلا لشوقى؛ لأن شوقى لم يكن شاعر مصر فقط ولا العروبة وحدها ولا الإسلام خاصة، بل كان شاعر الشرق كله أو قل الانسانية جميعها، وهكذا يكون الشعراء العالميون الخالدون. وشوقى بعد هذا كله جمع فى رأسه ونفسه نفسيات جميع الشعراء وأفرغها بعد فحصها فى ثوب جديد خاص به، وبذلك دل على أن أسلوبه لا يجاريه أسلوب، حتى ليستطيع المتذوق لشعره أن ينسب كل ما قال من الشعر له حتى ولو غالط مدع ونسبها إلى غيره؛ لأن ألفاظه وتعبيره وديباجته تم عليه كما يتم العطر على الوردة ولو اختفت بين الأشواك، وهذه ميزة قلما ينفرد بها أحد غير العباقرة الملهمين

وإذا لم تكرار القول وإعادة الحديث أن أبدى إعجابى بشوقى إلى هذه الدرجة من الإفراط والتطرف، ومن التهيج أن أذكر ذلك، ولكنى فى هذا الحديث مرغم لأنى أعجب غاية العجب من عدم عناية أدباء مصر بشعر سيد شعرائهم وخصوصاً شعره الذى لم يدرج فى كتاب ولم يضم إلى دواوينه الأربعة. ولما كنت

(١) حديث للمرحوم مصطفى صادق الرافعى نشر فى الجزء الرابع من المقتطف ١٩٣٢ وألحق فى الجزء الثالث من كتابه «وحى القلم»

أعتقد أن لشوقي قصائد كثيرة لم تنشر أخذت أعسى بجمع أكثر القصائد التي أعثر عليها في بطون الصحف الأدبية القديمة التي كانت تسعى إلى نشر ما يقوله أمير دولة الشعر وكرسي الأدب حتى تمكنت بعد جهد جهيد وسعي متواصل أن أحصل على عشر قصائد نشرت اثنين منها في الرسالة الغراء قبل عام وها أنا أتبعها الآن بقصيدتين من عيون شعره ، على أن أقدم بعد ذلك ما لدي من شعره في كتاب صغير بعنوان « شوقيات لم تنشر » بعد أن أقدم لهذا الشعر مقدمة ضافية تليق بمكانة قائلة

عتاب رؤساء :

لا أظن أن شاعرا في الدنيا أحب أنجاله وأولاده بقدر ما أحب شوقي عليا وحسيناً ، والمتتبع لقراءة شعره يلمس حنانه لهما في كل ما تعلق به ، حنان الأبوة الصادقة والقلب العطوف ، فهل بعد ذلك الحنان بر أنجاله به ، أنا لا أريد أن أتحامل عليهما إكراما لأميرنا.. ولكني أود أن أقول ما سبب تقاعسهما عن جمع ما لديهما من شعر في ديوان جديد ؟ المال موجود لديهما والحمد لله ! دور النشر ما أكثرها في مصر ! ثم ما ذنبنا نحن المعجبين بشوقي وبشعره أن نحرم منه ! أين إذن مسرحية « البخيلة » ومسرحية « الست هدى » وهما تمثلان ذلك العصر أصدق تمثيل ؟!

أين شعر والدهما الباقي ؟ ! إني أهيب بكل أديب عربي يحمل في قلبه ذرة من الحب لشوقي ولمصر أن يحث الأستاذين الكريمين وهما أكبر أنجاله على طبع روايتيه الشعريتين « البخيلة » و « الست هدى » ليسديا بذلك إلى المسرح والشعر يداً تذكر فتشكر . كما أطالب إخواني الأدباء الذين يحرصون على قراءة شعر شوقي في ديوان جديد أن ينشروا ما لديهم من شعره المنسي على صفحات الرسالة الزاهرة أو يرسلوه إلى لأضمه إلى مجموعتي كي أستطيع أن أظهرها الوجود في القريب العاجل إن شاء الله

الشوقية الأولى

قلت إنني عثرت بعد تنقيبي وبحثي في حنايا الصحف على بعض الشوقيات التي خلت منها دواوينه.. وأولى هذه اللفحات عثرت عليها في الصفحة « ٢٧٠ » من الجزء الرابع مجلد « ٥ » من مجلة « الزهراء » القاهرية لسنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م والتي كان يصدرها في مصر الأستاذ محب الدين الخطيب خال صديقنا الأستاذ علي الطنطاوي.. وهذه الدرة الشوقية نظمت في تكريم الشاعر الأستاذ المرحوم عبد الحميد بك الرافعي . . وقد قدمها محرر الزهراء بهذه الديباجة :

« أقيمت في طرابلس الشام حفلة تكريم عظيمة للشاعر الكبير الأستاذ عبد الحميد بك الرافعي في شوال الجاري « أي سنة ١٣٤٧ م » ألقيت فيها قصيدة أمير الشعراء »

فمن هو هذا الشاعر الذي كرمه شوقي ؟

لم أجد للشاعر عبد الحميد الرافعي ترجمة أعتمد عليها ولكني وجدت في « مختارات الزهور » (٢) كلمة عن شعره هي :

« عبد الحميد بك الرافعي من أدباء طرابلس الشام المعدودين ، وسليل أسرة عريقة في النسب . مشهور عن أفرادها العلم والفضل . أما شعره فشعر البداوة مع مسحة حضرية ، فصيح الألفاظ ، جيد التراكيب . له ديوان حافل بغرر المنظومات .. » ا هـ (٣)

ومن شعره قوله في « المشيب (٤) »

يا شيب عجلت على فتى ظلماً ، فيا ابن الدور ما أظلمك
بدلت بالكافور مسكي وما أضواه في عيني وما أعتمك
من يقبل الفاضح في ساتر فهات ليلاك وخذ مرهمك
غرك أن الشيب عند الورى بكرم ، هل في النيد من أكرمك
فليت أيام شبابي التي أرقتها غدراً ، أراقت دمك

وإلى هنا أقف من الشرح لأقدم للقراء وخصوصاً المعجبين

(٢) الزهور مجلة أدبية علمية فنية كان يصدرها في مصر المرحوم أنطوان الجميل وأمين تقي الدين ، ومختاراتها مجموعة تحوي قصائد لشعراء ذلك العصر مع صورهم . وقد طبعت المختارات بمطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٩١٤

(٣) لم أعثر على الديوان الذي أشارت إليه المختارات ، ومن كانت لديه ترجمة الشاعر الرافعي أرجو أن ينشرها في الرسالة خدمة للأدب والتاريخ

(٤) ص (١٦٢) من المختارات

بعبقرية أبي على الخالد قصيدة كاملة وهي انتى قالها فى تكريم الرافعى

أعرفى النجم أوهب لى يراعا ... يزيد « الرافعيين » ارتفاعا
مكان الشمس أضوأ أن يحلى ... وأنبه فى البرية أن يذاعا (٥)
بنوا الشرق الكرام الوارثوه ... خلال البر والشرف اليفاعا (٦)
تأمل شمهم ومدى نحاها ... تجد فى كل ناحية شعاعا
قد اقتسموا اعمالكم فكانت ... لهم وطنا من « الفصحى » مشاعا
هموا زادوا « القضاء » جمال وجه ... وزادوا غرة « الفتيا » اليماعا
أبوا فى محنة « الأخلاق » إلا ... لياذاً فى العقيدة وامتناعا
أووا شيباً ، وشبانا إليها
تخالهمو « الصحابة » والتباعا (٧)
إذا أسد الشرى شبت فمفت ... رأيت شبابهم عفوا جياعا
فلم تر « مصر » أصدق من « أمين »
ولا أوفى إذا ريبت دفاعا
فتى لم يعط مقوده زماناً ... شرى الأحرار بالدنيا وباعا
عظيم فى الخصومة ما تجنى
ولا ركب السباب ولا القذاعا (٨)
تمرس بالفضال فلست تدرى ... أأقلاماً تناول أم نباعا (٩)
ويا ابن السابق المزرى ارتجالا ... برواض القصائد وابتداعا
أما يكفى أباك السبق حتى ... أتى بك أطول الشعراء باعا
شدا الحادى بشعرك فى الفيافى ... وحركت الرعاة به اليراعا
وفات الطير ألفاظاً فخامت ... على المعنى فصاغته صناعا
إذا حضر البلابل فيه لحن ... تبادرت الحمام له استماعا
مشى « لبنان » فى عرس القوافى ... وأقبل ربوة واختال قاعا
وهز المنكبين لمهرجان ... زها كالباقة الحسنى وضاعا (١٠)

وأقبلت الوفود عليه تترى
كسرب النحل فى الثمرات صاعا (١١)
فدا يزجى الركاب وراح حتى ... أظل « دمشق » وانتظم البقاعا
ترى ثم القرائح والروابى ... تبارين افتناناً واختراعا
ربيع طبيعة وربيع شعر ... تخلل نفح طيبهما الرباعا
كأنك بالقبائل فى « عكاظ » ... تجاذبت النابر والقلاعا
بنت ملكا من « الفصحى » وشادت
بوحدتها الحياة والاجتماعا
فعادت أمة عجباً وكانت ... رعاة الشاء والبدو والشماعا (١٢)

* * *

أمير المهرجان ، وددت أنى ... أرى فى مهرجانك أو أراعى (١٣)
عدت دون الخفوف له عواد ... تحدين الشيئة والزماعا (١٤)
وما أنا حين سار الركب إلا ... كباغى الحج هم فما استطاعا
أقام بشبنه لم يقض حقا ... ولا بل الصبابة والنزاعا (١٥)

* * *

« طرابلس » انثنى عطفا أديما ... وموجى ساحلا وثنى شراعا
كسا جنباتك الماضى جلالا ... وراق عليه ميسمه وراعا (١٦)
وما من أمس للأقوام بد ... وإن ظنوا عن الماضى انقطاعا
ألم تسقى الجهاد وتطعميه ... وتحمى ظهره حقباً تباعا ؟ !
شراعك فى « الفنيقيين » جلى ... وذكرك فى « الصليبيين » شاعا
كأنى بالسفين غدت وراحت ... حيالك تحمل العلم المطاعا (١٧)
« صلاح الدين » يرسلها رياحاً ... وآونة يصففها قلاعا (١٨)
أليس البحر كان لنا غديراً
وكانت فلكنا « البجع » الزناعا (١٩)

٥) ذاع الخبر انتشر
٦) اليفاع . التل المشرف أو كل ما ارتفع من الأرض وهنا أراد الشرف العالى
٧) التباع . الأتباع شبههم الشاعر بأتباع الرسول وصحابته
٨) القذاع . السب الفاحش
٩) التباع « تبع وتبعة » شجر تتخذ منه السهام والقسى
١٠) ضاع . الزهر فاح نشره
١١) صاع . تتابع
١٢) القطاع : المتفرق والقليل (طارت نفسه شعاعا) أى تفرقت
١٣) أراعى : أصغى وأستمع
١٤) الزماع : الاسراع
١٥) النزاع : الاشتياق
١٦) الميسم : العلامة
١٧) العلم : الراية
١٨) يقصد الشاعر بهذا البيت أن هذه السفن تذهب آونة للتجارة وأخرى للحرب
١٩) البجع : طائر عريض المنقار طويله واحده بجعة كناية عن عظم السفن

دراسة وتحليل

الجواهري شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومي

— ٢ —

وتترك كارثة فلسطين لتنتقل إلى أذناب المستعمرين ...

ولا تكاد تخلو إحدى قصائد الشاعر من تجريح هؤلاء الأذناب والتشهير بهم ، بل إن إنجلترا القادرة لم تنل من الشاعر ما ناله أذنابها المتزعمون ، وللجواهري وجهة نظره الصائبة في ذلك ، فالإنجليز مهما عصفوا بالشرق والإسلام ، وناهضوا الحريات بشتى الوسائل ، فهم يخدمون وطنهم بما يرونه من الأساليب الظالمة ، أما هؤلاء الأذناب الخائنون آثمون يشنون الحرب على بلادهم ، ويصادرون حرياتها وكرامتها في غير هوادة وإشفاق ، وقد يبلغ بك الأسف أشده إذ تجد الشاعر يقارن بين عهدين ، عهد برز فيه الاستعمار سافراً بوجهه الدميم ، يأمر وينهى ويسلب ويبز ، وعهد رجع فيه المستعمر إلى الوراء خطوة ، ووقف خلف ستار رقيق شفاف ينظر ما ينفذه صنائعه من تعسف وبطش ، وقد أخلى الطريق أمامهم فما استشعروا عاطفة نبيلة ، أو أحسوا بواجب قومي ، بل صالوا ذئابا نهمة جشعة ، وعاثوا أضعاف ما عاث المستعمر الظلوم ، وانطلقت المطامع من مكامنها تحتجر وتدخر وكانوا ستاراً لعورات المحتل ومثالبه ! حتى فضل الناس أن يعودوا إلى العهد الأول فيقابلوا الاحتلال وجها لوجه ! ! إذ رأوا بعد التجربة الأليمة أن افتراش القتاد أهون من افتراش الجمر ، فأضحت أمنيتهم أن يضعوا الصفاد بأيديهم من جديد ، وكانوا يشتكون الجدب والمحول فرأوا من هؤلاء المستوزرين جرادا يستأصل مابقي من الغصون والأوراق ، بدل أن يهطلوا غماما ينعش الأرض ويسقي الزرع ويضاعف الثرا وليس الجواهري سادرا في خياله ، بل إنه يضع في يد قارئه الحجة ، فيتساءل عن حرية النقد التي كانت تجد مجالها في عهد المستعمر ، فلا يرى لها صدى يتجاوب ، وينظر إلى السجون والمعتقلات ، فيراها تستقبل أضعاف من كانت تستقبلهم قبل ذلك ؟ فليذرف الشعر دمعه الغزير على الشرق الكليم ، وما يوجه إليه من طعنات قاتلات :

فكم في الشرق من بلد جريح ... تشكى لا الجروح ولا الصهادا
تشكى بغي مقتاد بغيض ... تأبى أن يطاوعه انقيادا
فكانت حيلة أن يعطيه ... رضيع لبانه فبغى وزادا
صدى للأجنبي ورب قفر ... أعاد صدى فسر بما أعادا
فكانوا منه في العورات سترا ... وكانوا فوق جمرته رمادا
تروى من مطامعه وأبقى ... لهم من سؤر ما ورد النقادا
وكان إذا تهضمه غريب ... أقام له القيامة والمعادا

غمزنا بالحضارة ساحليه ... فما عيا بحائطها اضطلاعا
توارثناه أبلج عبقريا ... ذلول المتن منبسطاً وساعا
ترى حافاته انفجرت عيوناً ... ورفت من جوانبه ضياعا
فأوذنا الكتاب الفخم حرفاً ... ولاذنا العصور الوهر ساعا (٢٢)
فقدنا معقد الآباء منه ... فكنا اليهم قد خلف السباعا (٢٣)
كأن الشمس مسلحة أصابت ... مفيفاً في ظيالسه شجاعا
تحجب عن بحار الله حتى ... إذا خطرت به نضت القناعا
وما رأت العيون أجل منها ... على أجزاء هيكله المطلاعا
فما كشروقها منه نعيما ... ولا كغروبها فيه متاعا

* * *

هذه عصماء شوقي التي قالها في تكريم الشاعر الكبير المرحوم عبد الحميد بك الرافعي وهي كما يراها القارئ الكريم نفحة خالدة من نفحات شاعر الشرق الخالد الذي لم يك شاعر مصر وحدها بل شاعر الانسانية برمتها وإن حدد هو فقال :

كان شعري الغناء في فرحة الشرق وكان البكاء في أحزانه ومثل شوقي يظل خالداً ماظلت الشموس تدور في أفلاكها . وفي العدد القادم إن شاء الله أقدم « شوقية أخرى »

٢٢) ساعا : جمع ساعة
٢٣) البهم : صغار الضأن

فأسلمه الغريب إلى غريب ... يسخره كما شاء اضطهادا
فبئس منى لمصفود ذليل ... لو ان يديه لم تضع الصفادا
وبئس مصير مفترشين جمرا ... تمنيهم لو افترشوا قتادا
وكانوا كالزروع شكت محولا ... فلما استمطرت قطرت جرادا

والشاعر ذو نظرة واعية فاحصة ، فهو ينظر إلى أعمال هؤلاء مدركا علتها وأسبابها ، وقد فطن إلى أن المدرسة الاستعمارية التي تخرج المستوزرين في شتى الأمم العربية مدرسة واحدة متفقة المناهج والأساتذة ، حتى لكأنها توزع من هؤلاء نسخا مطبوعة على الشرق ، وفي سطور كل نسخة وظروفها ما يتفق ومبادئ الاحتلال وأغراضه ، ويتضح هذا بجلاء في قصائد الشاعر ، فأنت ترى ما يمثل في العراق نظير ما يمثل في كل قطر شقيق . وسيعرض لنا الشاعر في قرائده رواية محبوكة الأطراف ، منسقة الفصول ، وقد استمدت أبطالها وحوادثها مما يجري في الشرق العربي من محن وأرزاء ، وهو بعد موفق في مسرحيته ، بارع في أدواره إلى حد كبير ، وسأهيء لك الشريط لتجد في الفصل الأول مالا يغيب عن ذهنك من ألاعيب الاستعمار في كل قطر منكوب ، فأنت أمام مستوزر بغيض يعرف ما يكنه له الشعب من احتقار وازدراء ، فيقابل ذلك بالبطش المنيف ، والرقابة المليئة بالدسائس والمؤامرات ، فإذا أراد أن يختلق مايبرر فظائعه الآثمة لجأ إلى الدستور فأخضع نصوصه الفضفاضة إلى ما يريد من تعسف وإرهاق ، وأوجد الشروح المتكلفة ، والتفاسير المموهة ، ممهورة بأسماء قانونية يثريها الذهب والمنصب والجاه ، فتحيل النهار ليلا والحق باطلا ، فإذا وجد الحجة القانونية الموهومة في يده ، لجأ إلى المجلس النيابي فبدده في طرفة عين ، وشرد أعضاءه الأحرار ، وأخذ يتحدث عن الحرية والمساواة والنزاهة ، وأجرى انتخابات باطلة زائفة ، وقد حشد لها رهطا من الأنصار والأنسباء ، فإن تجاوزهم فإلى فريق وصولي نفعي يروح مع الذئاب ويغدو مع الرعاة ، وبذلك يضمن الحجة الدستورية لبقائه في المنصب ، دون أن يغفل أولياء نعمته من المستعمرين ، فيسوق إليهم ما يريدون ، وفوق ما يريدون ، وإن جر على بلده النكال والوبال ، هذا الفصل الموسف من الرواية يمثل في كل قطر نكب بالاستعمار ، وإن الشاعر ليبرزه بوضوح إذ يقول على لسان أحد هؤلاء :

تخذت الورى بالظن أحصى خطاهمو
ورحت لدقات القلوب عاسبا
ولم أر للاثم الفظيع ارتكبته
سوى أنني أدبت للحكم واجبا
لجأت إلى الدستور في كل شدة
أفسر منه ما أراه مناسبا
أحكم به الأهواء حقا وباطلا
وأخنق أنفاسا به ومواهبا
أهدم فيه مجلسا لا أريده
وإن ضم أحرارا غيارا أطايبا
وأبني عليه مجلسا لي ثانيا
أضيع الحكما عليه رواتبا
وأحشد فيه أصدقائي وأسرتي
كما ضم بيت أسرة وصواحبا

فإذا أنهى الفصل الأول من المسرحية أدار الشريط مرة ثانية . فطالعك في الفصل الثاني بفريق من المستوزرين جذبهم الاستعمار إلى موائده ، وأظهر لهم العطف الزائد والحب الأكيد لبلادهم ، ورآهم أهلا لمخالفته على البأساء والضراء ، وأبرم معهم وثائق خادعة ، ظاهرها الرحمة ، وباطنها العذاب ، فطار بها الأغراء كل مطار ، ورجعوا إلى بلادهم يتشدقون بالعزة والحرية والاستقلال ! ويدعون أنهم أنقذوا الوطن من براثن الاستعمار ، إنقاذاً مشرفا يتفق وكرامة البلاد ، فإذا حزب الأمر وتغير الوضع الدولي ، تنكر الحليف لوثائقه ، وسخر بأذنابهم وحلفائه ، وأخذ يفسر النصوص تفسيراً مجحفا ظالما وطالب بحقه كصديق محالف في الانتزاف والاستلاب ، وهنا فقط يتيقظ النائمون من رقدتهم فيردون في الوثائق أغلالا خانقة ، وقيودا ثقيلة مرهقة ، فيتنصلون مما اقترفوه ، كولود تحدر من سفاح ، ويلصق كل فريق جريمته بأخيه ، ويعرف الجميع أن مساعدة الذئب للحمل ما كرة باغية ، ولاسبيل إلى مصادقة فريس يهدد صاحبه بالحق الذريع ، ثم يضحك الشاعر من غفلة هؤلاء الذين لايلمسون بدائه الأشياء فيتخبطون تخبط العشواء ، حتى يفجأهم الواقع

المرير بما لا ينتظرون ، هذا هو الفصل الثاني من الرواية السياسية المؤلمة وأظن القارىء قد تشوق إلى رؤيته فلينظره في هذه الأبيات

ووضع أمس كلهمو لواه ... به واليوم كلهمو لواحي
تنصل منه زورا صانعوه ... كمولود تحدر من سفاح
وذموا أنهم كانوا حكومة ... عليه في الغدر وفي الرواح
وتأريخ أريد لنا ارتجالا ... فكب كما أريد إلى افتضاح
شحنا دفتيه بمنمنات ... (كأحداق المها مرضى صحاح)
وغلفنا مظاهره حسانا ... مزخرفة على صور قباح
وأحلناه وهو ضريح شعب ... محل الوحي جاء من الضراح
تجرعه زعافا ثم نضفي ... عليه محاسن الشيم القراح
وربة صفقة عقدت فكانت ... كتحريم الطلاق على النكاح
تدبر في العواصم من مريب ... خبيث الذكر مطعون النواحي
يفوح الخبر منها في اختتام ... ويبدو البتر منها في افتتاح
ويستر نصها المسموه خزيا ... ومظلمة عن الغيد الملاح
وحلف است أردى من ذهول ... أعن جد ينفذ أم مزاح
لنا حق يرجى بالتماس ... وباطلهم ينفذ بالسلاح
ولست بعارف أبداً حليفاً ... يهدده حليف باكتساح

ثم يدور الشريط فيعرض لك المؤلف فصله الثالث والرابع والخامس حتى تنتهي المسرحية الأليمة بانتهاء ديوانه ، ولن أجد من نفسي الرغبة في تتبع الفصول وتحليلها تحليلا يرشد إلى كوامنها السياسية ، فهذا ما لا يغني عن قراءة ديوان الشاعر ، بجزءيه الكبيرين ، وبخاصة إذا كان الحديث عن هؤلاء الأرشاب يسجل أكثر قصائد الديوان ، سواء أكانت في الرثاء أو السياسة أو الاجتماع ، فهم القاسم المشترك في كل ما يجلب الكوارث على البلاد ، وقد وصفهم الشاعر بما لا يعد مبالغاً فيه ، وصور الحقد في نفوسهم . ورسم القطوب والعبوس والانقباض ، وجميع ما يلوح في وجوههم الانفعالات والغضون ، وتهكم بثرائهم المغتصب وجاههم الزائف وشهواتهم الجامحة العاصفة ، ونظر إلى أعينهم اللامعة نظرات أطفأت ما بها من تألق وبريق ، وحسبك أن يقول :

تداول هذا الحكم ناس لوانهم ... أرادوه طيفا في المنام لخيبوا
ورب وسام فوق صدر لو انه ... يجازى بحق كان بالنعل يضرب
نشاربه بين المخازي وراقه ... وسام عليها فهو بالخزي معجب

ولن نترك ما قاله الشاعر في أعداء الشعوب دون أن نشير إلى سخريته اللاذعة من أمانيهم الخادعة ، وعجبه لغفلتهم عما يتهددهم من مصير أليم ، وتركيه الساعة الفاصلة التي تستيقظ فيها الشعوب النائمة على صوت لجب صاخب يبعث بها التوثب والطموح ، فتندفع هائجة إلى فلول الخونة من الأذناب ، تدوسهم بالنعال ، وتطؤهم بالأقدام ، وكم يؤلمك أن يتمنى الشاعر من هؤلاء أن يقتدوا بإنجلترا ! فيهادنوا المروءة والرجولة ، ويحاربوا العقائد والمذاهب ، وأنى يكون ذلك ، والشعب البريطاني يقظ متوثب ، يقدر زعماؤه كرامته وحيويته ، أما أذنابهم في الشرق فلا يعترفون بحمية وإباء ، فصادروا الحريات ، وكموا الأفواه ، فانطلق الجواهري يفض مضاجعهم ، ويكشف الأستار عن مثالبهم الفاضحة إذ قال :

ولقد وآى المستعمرون فرائسا ... منا وألفوا كلب صيد سالبا
تتعهدوه فراح طوع بنانهم ... يبرون أنيابا له ومخالبا
مستأجرين يخربون بيوتهم ... ويكافأون على الخراب رواتبا
الشاربين دم الشباب لأنه ... لو نال من دمهم لكان الشاربا
والجاقدين على البلاد لأنهم ... حقرتهمو حقر السليب السالبا
ولأنها أبدا تدوس أفاعيا ... منهم تمج سمومها وعقاربا
شلت يد المستعمرين وفرضها ... هذي الملوق على الدماء ضرائبا
ألقى إليهم وزره فتحملوا ... أثقاله حمل الثياب مشاجبا
وأذابهم في الموبقات فأصبحوا ... منها جفورا في جفور ذائبا
يتمهل الباغي عواقب بغيه ... وتراهمو يستعجلون عواقبا
حتى كأن مصائرا محتومة ... سودا تنيلهمو متى ورغائبا

بغيم — محمد رجب البيومي

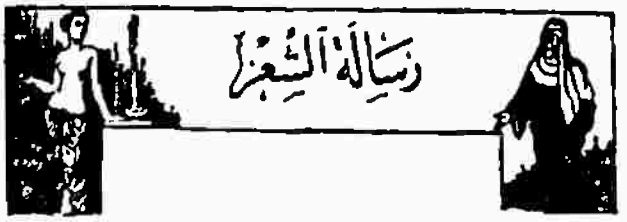

حر مقيـــد وعبد مسيب

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

في الناس عبد قيده رهبة ... أو رغبة في هذه الفانيه
يعيش هجيراه : واحسرتا ... اطمع يا حسرتا لما ليه
يبيت موفورا ولكنه ... مرزأ قد حرم المـــانيه
معبد إلا لدى نفسه ... قد أطلقته في الخنا راضيه
يرتع في سوآته سائبا ... كما تجز الكلأ الماشيـــه

* * *

وفيهمو حر له همـــة ... لكل قيد في الورى قاليه
تعلو على القيد به نفسه ... تطير في آفاقها العـاليه
تراه من ذل الورى مطلقا ... مقيدا من نفسه الآبيه
أنعم به مقيـدا مطلقـا ... حرية بين الورى خاليـه

ويقترح وقتنا للخطب القصار

سمعت بمحفل خطبا طوالا ... تصاب لها السامع بالسـقام
فقلت : عجبت للخطباء تزجى ... فسيح القول في ضيق المقام
فكم وقت أضاعوا في كلام ... سخيف النسج مفرط النظام
فقال محـدثي : إنا سمعنا ... عجيب القول من أحد العظام:
«يضيق الوقت من خطب قصار ... فنزري بالطويل من الكلام

عبد الوهاب عزام

بنيتي

إذا تطلعت إلى وجهها رأيت أمي مرة ثانيه

للأستاذ أنور المطار

بنيتي عصـــفورة شاديه ... تلعب في عش الصبا لاهيه
بنيتي لحن رقيق سرت ... في مهجتي أفراحه صافيه
يهفو إليهـا القلب من وجده ... فتنتشي أحلامـه الماضيه
بنيتي شـــعر تغنت به ... روحي في عزلتها الساجيه
بنيتي وحي تلقيته ... من نفحـة عطرية ساريه
من عبق الزهر سقاه الندى ... خمرته العلوية الشـــافيه
ومن نشـيد النبع في حقله ... ومن صـــلاة الغابة الخاشيه
ومن صفاء الجـدول المنتشي ... ومن رؤى الأمسية الحاليـه
من عودة القطعان مسحورة ... تصغي إلى شبابة الراعيه
والدرب في ســـكرته حالم ... يسبح في الأنشودة الشاكيه
والقرية السـجواء في صمتها ... مطلة من شـوقها رانيه

* * *

بنيتي أمنيتي في الدنا ... ومأمل والبغية الغاليـــه
سريرهـا يهتز في أضـلعي ... تنام في أعطافه هانيه
أيامهـــا مشرقة بالمنى ... ضاحكة بالبشر والعافيـه

* * *

بنيتي طيف تعلقتـه ... من صغري والفتنة الغاليـه
صورة أمي سربت في دمي ... وانبثقت من طفلتي باديه
بغامهـا وشوش في مسمعي ... وطاف في مهجتي الصابيه
إذا تطلعت إلى وجهها ... رأيت أمي مرة ثانيـه

أنور المطار

• من ديوان « ظلال الأيام » .

فن المقابلة . . . مبادئه وطرقه

تأليف آنيت جاريت

للاستاذ محمد عثمان محمد

كثيرا ما يتوقف نجاح الفرد في حياته العامة على قوة شخصيته ومدى تفهمه وإتقانه لفن المقابلة

فقد يستقبلك شخص يستحوذ عليك أدبه ورقة حديثه فتنجز له في الحال طلبه ، وتقدم له ما استطعت من مساعدات ، وقد يستقبلك آخر بأسلوب السوقة والدهماء فتنفر منه ولا تحقق له أملا ، أو تنجز له طلبا

كما أن الإخصائي أو القائم بالمقابلة في أية هيئة أو مؤسسة أو منظمة اجتماعية يتوقف نجاحه في عمله إلى حد كبير على هذه الشخصية وعلى مدى تمكنه وإدراكه لهذا الفن كذلك

ولقد كان ولا يزال للمقابلة شأن عظيم في الدوائر السياسية والمجالات الدولية وفي المنظمات الإنسانية المختلفة التي تقوم بتأدية الخدمات الاجتماعية للأفراد والجماعات وفي مكاتب الاستعلامات وفي المصالح الحكومية وفي البنوك والشركات العديدة وفي المستشفيات العامة وفي المصحات وفي عيادات الأطباء وفي مكاتب المحامين والمحاسبين وفي دور النشر والصحافة وفي غيرها وغيرها

وقد قام أخيرا المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية مشكورا بترجمة مؤلف قيم يدور حول هذا الموضوع إلى اللغة العربية إسمه « فن المقابلة — مبادئه وطرقه » بقلم الإخصائية الأمريكية أنيت جاريت

والكتاب من الحجم الصغير ، ويقع في مائة وثماني عشرة صفحة ، وقد تناولت المؤلفة في فصوله السبعة فهم الطبيعة البشرية والحالات النفسية للقائم بالمقابلة وأغراض المقابلة وكيفية القيام بها والأشياء التي تبحث عنها فيها ، وأخيرا الظروف الضرورية للمقابلة الحسنة ، ثم اختتمت بحثها الممتع هذا بكلمة طيبة موجزة عن « ثقافة الإخصائي » وما يجب أن يتزود به من معلومات عامة وخاصة حتى يقوم بما وكل إليه من عمل في المؤسسة التي ينتمي إليها على الوجه الأكمل

وقد يتصفح المتصفح الكتاب فيرى لأول وهلة أن بحثه يدور حول المقابلة من ناحيتها « المهنية » فقط ، وأنه ما نشر إلا لينتفع به الإخصائيون والقائمون بالمقابلة في مختلف المنظمات والمؤسسات ، ولكنه لو تفكر حقا لوجد أن كل ما جاء في تضاعيفه ما هو إلا دراسة مستفيضة وافية مفيدة للجميع ، للاخصائي ولغير الإخصائي

ومن الملاحظ أن المؤلفة لا تعرض بحثها فيه عرضا سطحيا سهلا ، ولكنها تلجأ في أسلوب سلس إلى التركيز فالمناقشة والشرح والتبيين

اسمعها حين تتكلم عن حوافز السلوك الإنساني (ص١٧) فتقرر أن الكثير من سلوك الإنسان يصعب علينا تعليله ، وأننا « ... قد نفلح في تقديم تبريرات بارعة ولكنها قد لا تجد القبول حتى منا أنفسنا ... » ثم تعمد إلى الشرح والإيضاح بقولها « ... أمثال ذلك كيف تستبد بنا ثورة الغضب إذا كان علينا أن ننتظر دقيقة واحدة ، على حين أننا نقف في أوقات أخرى في الصف ننتظر دورنا هادئين مدة نصف ساعة ؟! أو لم نتزل عقوبة صارمة بطفل ما لأنه ارتكب هفوة يسيرة على حين نتجاوز عن أخطاء له أشد شناعة ؟ »

ثم اسمعها حين تتحدث في موضع آخر عن الصراع بين الدوافع (ص٢٨) قائلة « إننا كثيرا ما نشك فيما قد يصدر عنا من أحكام ، وكثيرا ما نعيد النظر كرات فيما اخترناه مستحسرين على سابق اختيارنا الذي قد يبدو لنا أننا كنا فيه غير موفقين » ضاربة المثل بالطالب الذي يتخلى عن اخوانه في حفل بهيج ليعود إلى استذكار دروسه استعدادا لامتحان مقبل من أنه « ... يشعر شعورا قويا أثناء الاستذكار أن هناك قوة تجذبه إلى الحفل ، وفي بعض الأحيان قد تكون هذه القوة من السلطان بحيث تغير اختياره فإذا هو مسرع إلى إخوانه ، وعندئذ فقط يشعر بصوت الضمير محاولا في إيأس إن يجذبه إلى عمله ... وأيا كانت الرغبة التي تنتصر في النهاية والتي نفسح السبيل لها في حياتنا .. فإن الرغبة المهزومة لا تموت ، ولكنها تثور بين وقت وآخر .. »

مفرد شمائل

جاء فى مقال شخصية الرشيد للأستاذ أنور الجندى فى العدد ٩٩١ من الرسالة الزهراء ما يأتى : وتلك شمائل الرجل الفذ : والمعروف أن مفرد شمائل شمال بالكسر بمعنى الخلق والطبع ، ولم أعثر على شميلة التى استعملها الأستاذ ، ويحضرنى قول

وهكذا لا تتناول نقطة من نقاط الكتاب إلا وتستوفيها شرحا وتمحيصا ، وقد لفت نظرى واستوقفنى طويلا قولها فى صفحة ٤٦ « ... وهناك خطأ يسهل الوقوع فيه وهو أن تعرض على — عميلك — توكيدات غير حقيقية كأن تقول : أنا واثق أنك ستتحسن قريبا أو ستحصل على عمل فى القريب العاجل أو سيتهيأ كل شئ على خير ما يرام ، فمثل هذه الملاحظات فضلا عن أنها لا تطمئن — العميل — فإنها تسبب له شعورا بالشك فى إمكان فهم القائم بالمقابلة للموقف وبالتالى قدرته على المساعدة»

فهل على الطبيب المعالج مثلا أن يصارح مريضه الطريح الفراش المعانى بحقيقة علته إذا كانت مستعصية ولا أمل له فى الشفاء منها ؟! أليس من الأفضل أن يتذرع بالحكمة فيطرد الوهم القاتل ما استطاع من فكره وأن يوهمه بأن علته هذه التى يشكو منها غير مزمنة ولا هى غير مستعصية. وأنه واثق الوثوق كله من ان حالته باذن الله ستتحسن قريبا ؟ !

نعم ، ليس من الحكمة ولا من الخير أن يكون المرء فى جميع أحواله صادقا ، ولا أن يكون فى جميع ظروفه كاذبا ، ولكنه يجب أن يكون للصدق موضعه ، وأن يكون للكذب موقفه ومبرره

ورحم الله شيخ المعرة كم كان صادقا موفقا حين قال فى لزومياته :

اصدق إلى أن تظن الصدق مهلكة
وبعد ذلك فاقصد كاذبا وقم

محمد عثمان نجم

عهد يغوث :

ألم تعلما أن الملامة نفعها قليل ومالومى أخى من شمائلها

كما يحضرنى قول لبيد وقد جمع المفرد والجمع فى شعر واحد

وهم قومى وقد أنكرت منهم شمائل بدلوها من شمـــال

عبد الرازق عبد ربه

رسالة السينما فى تربية الشعوب

أن « للسينما » فى بلاد الغرب رسالات لها قدرها فى تربية الشعوب ، ولها خطرها فى النهوض بها ، وما من رواية تعرض على الشاشة فى تلك البلاد إلا ولها قصة حية ، وموضوع قوى ، ومعان عظام تأخذ بالألباب ..

إن « السينما » أصبحت هناك وسيلة إلى تربية الشعوب والنهوض بها ، وتقويم أخلاقها وبذر بذور المثل العليا فى نفوسها ودفعها إلى الأمام نحو الحياة الصحيحة لتصل إلى غاية المجد ونهاية السؤدد ، وبذلك أمكنها أن تؤدى لأوطانها خدمات كثيرة جليلة ، وأن تكون لها رسالة تنال تقدير الجميع وثقتهم .

أما هنا فى الشرق — ولاسيما فى مصر — فلم «تصبح السينما» بعد ، وبكل أسف إلا عاملا من عوامل الترفيه ليس إلا ، يغزوها أفراد الشعب ليشبعوا أنظارهم من المناظر الماجنة ، ويرفهوا عن أنفسهم بالضحكات الفارغة — وإذا حاولت أن تجد قصة لها مغزاها الاجتماعى أو السياسى أو الخلقى فلن تجد ، وبذلك استساغت الطبقة المثقفة أن تنفر من الرواية المصرية متجهة إلى الرواية الغربية تنهل من معانيها وترتوى من مثلها

إننا لا ننكر أن بعض السينمائيين يتجهون اتجاها سليما فى التأليف والإخراج ، ويقدمون للشعب المصرى زادا طيبا يرضى عنه الجميع ، ولكن هذا الزاد ضئيل الضآلة التى تجعله ضائعا بين الغث الكثير الذى لا ساحل له .

إن الألم ليملأ نفوسنا حين نجد الشوارع والميادين والصحف تغص بالاعلانات عن روايات ، . تعال سلم — ماتقولش لحد — أحبك انت — قبلنى يا أبى — لهاليهو — بيت الأشباح — فى الهوى سوى .. وما إلى ذلك من الفوضى التى لا حد لها . وكم

كما نود من صميم أنفسنا ألا نقل عن الغرب فى هذا الجانب ، ولنا من طبيعتنا مايساعدنا على ذلك ، ولنا من أحوالنا ما يجعلنا فى مسيس الحاجة إلى القصص الحية ذات المعانى التى تنهض بنا فى كل شأن من شؤون حياتنا . !

نفيسة الشيخ

الاقتباس من القرآن

. . اعتاد الكتاب والشعراء أن يضمنوا مقالاتهم وكتبهم وأشعارهم بعض آيات من القرآن الكريم . وربما لم تكن هناك أدنى صلة بين المقال والموضوع الذى نزلت الآية من أجله . لذلك عد العلماء هذا النوع من الاقتباس من النوع المحرم الذى ينبغى أن تعاف النفوس مساغه .. وفى ذلك يقول الإمام الحجة أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية فى كتابه « كنوز العرفان فى أسرار وبلاغة القرآن » . يقول فى مبحث الاقتباس ما يأتى : — « ... وقد أودعت جماعة من الشعراء وجلة من الكتاب الفضلاء فى أشعارهم ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التى هى من جملة رسائلهم آيات من كتاب الله تعالى وسموه اقتباساً من القرآن . وهذا مما قد نهى عنه جلة العلماء وأفاضل الفقهاء الأتقياء وكرهوا أن يضمن كلام الله تعالى شيئا من ذلك أو يستشهد به فى واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجتهم إليه — ثم جئت على قدر يا موسى — وأشباه ذلك لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له من المعنى الذى أريد به .. فمن التضمين المنهى عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السرى حين ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه — لو قبلت هديتك نهارا لقبلتها ليلا — بل أنتم بهديتكم تفرحون — وقال لرسوله — إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون — وأوحش من ذلك وأعظم منه فى الشعر قول الشاعر : —

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف ... بما جناه وانثنى مما اقترف

لقوله .. إقسل للذين كفروا ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

الى أن قال : هذا وما أشبهه مما يعدونه من الفصاحة والبلاغة وهو مما ينبغى أن تعاف النفوس مساغه وهو مندرج فى التحريم لما فيه من عدم الإجلال لكلام الله عز وجل والتعظيم . وكيف يليق أن يجمع بين الحدث والقديم ؟ »

محمود محمد زقزوق

افتراح .. ودعوة

بضعة أسابيع أخرى .. وتزف دار الرسالة العدد الألف من هذه المجلة الكريمة .

العدد الألف ! أليست تستوقف هذه الكلمة الصغيرة نظر كل قارئ وكل كاتب تصله بهذه المجلة صلة ، أى صلة ؟ أليست تشير هذه الكلمة الصغيرة إلى المنارة التى رفعتها أسامقة هذه المجلة على شاطئ المفاخر العربية فى جهادها الطويل فى محيط الأدب والعلم ؟

أليست من المفاخر الخالدة فى تاريخنا الحاضر أن تواكب الحياة مجلة أدبية جدية كالرسالة كل هذا العمر المديد ؟ إن مواكبة الرسالة للحياة لم تكن نزهة خالية إلا من المرغبات والمنشطات والبهجات ..

لقد كانت مواكبتها للحياة هذه الفترة كلها جهادا ونضالا .. كانت تحمل أمانة العلم الخالص ، وكانت تضطلع برسالة الأدب الإنسانى الحر .. وما أثقله حملا ! وأمانة العلم تبهظ أشد الكواهل ! وما أخطرها وظيفة ، ورسالة الأدب الحق تهول أنبل الأفئدة !

وكانت تخوض — بما تحمل — من ظروفها أعنف الأمواج ، ويناهضها من مشاكل جهادها المتزه المجرد أضرى الأنواء .. ومع ذلك فقد أدت الرسالة أمانتها أمثل أداء .. وسمت برسالتها إلى أخلد الآفاق وأمجدها .. يقر بذلك كل قارئ ورد غديرها ، ويشهد به كل كاتب رفع على روحها !

فهل نمر بعد ذلك هذه المناسبة السعيدة — مناسبة العدد الألف — دون أن نستلفت أحدا ؟!

ألا يجدر بأبناء العربية أن يقفوا هنيهة يحيون فيها هذا

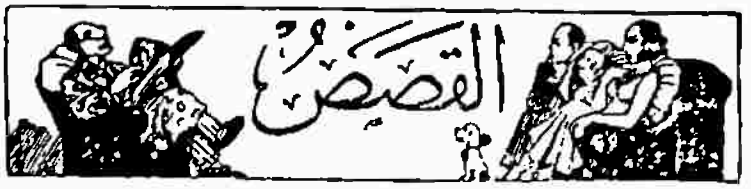

تجربة قاسية

مترجمة عن الانكليزية

إن التغيير المستمر الذي طرأ على مركز المرأة قد سبب كثيراً من مصائبنا الاجتماعية ، ولا تزال الحالة تزداد كل يوم سوءاً

وما دامت المرأة ترى واجبها في الحياة أن تكون أما وزوجة وربة منزل فهي شريكة الرجل في سروره وحزنه وغناه وفقره ، ولكنها متى تركت هذا المجال فلا يمكن أن تكون إلا واحدة من اثنتين : إما خادماً للرجل وإما حاكمة له ، ومن أجل ذلك كان أتعس السيدات هن نساء الطبقة التي يدعونها بالطبقة الراقية اللواتي لا يرين أنفسهن في حاجة إلى التفكير في قوت يومهن واللواتي يقضين أيامهن كسالى بليدات ويعهدن بكل واجب من واجباتهن إلى أخريات ، فإنهن أقل شعوراً بالسعادة من سائر النساء

ولقد كانت بطلة هذه القصة من النوع الأخير.. فإنها نشأت وظلت طول عمرها لا تقدر مسئولية لشيء ، فهي تنتقل من يد المرضعة إلى يد المربية إلى معلم الموسيقى والرقص دون أن تشعر في هذه الأدوار إلا بأنها مخدومة ، وأن على غيرها واجبات لها وليس عليها لأي إنسان أي واجب

وتزوجت من رجل متقدم في العمر فمات وهي لما تبلغ الخامسة والعشرين ، وقد وجدت نفسها عندموته فتية ذات معجبين كثيرين بجمالها وهي حرة في اختيار ما تريد وترك ما تشاء ، فكانت نتيجة حياتها على هذا النمط أن شعرت بالسأم وأحست بأن الحياة عبء ثقيل عليها ، ، فكان ذلك كل عملها أن تقتل الوقت كأنما هي لا تريد إلا التخلص من حياتها جزءاً فجزءاً

ولكنها مع هذا السأم من الحياة كانت زينة الحياة وبهجتها في أعين كثيرين ، ومن الغلطات الشائعة أن الناس يحسبون أن جميلة العينين وسيمة الوجه تكون حتماً ذات ذكاء يتناسب مع جمالها وتكون ذات روح شعرية

ولئن كان في السيدات من تجتمع فيهن هذه الصفات فإن صاحبتنا البارونة أديل لم تكن كذلك بل كانت روحها قاتمة مظلمة

كانت متوسطة الطول نحيلة شديدة البياض بحيث يظهر في جلدها الناصع لون عروقها الزرقاء. وهي جميلة الوجه والأنف صغيرة الفم وردية الشفتين ذهبية الشعر ، ولكن عينيها كانتا أجمل شيء فيها فقد كانت نظراتها الوسنى مثل نظرات الحالم .

وقد قضت سنوات في الحداد على زوجها تتنقل بين البلدان فزارت إيطاليا وفرنسا الجنوبية وإسبانيا ، وكان أحب أماكن الاصطياف إليها جبال التيرول حتى لقد جمعت كل صورها ومناظرها فوضعتها في غرفة استقبالها . وفي يوم من الأيام أرادت أن تعلق إحدى قمم الكلة بالجليد فلبست ثوباً من الفرو وأمسكت بعصا غليظة وصعدت إلى الجبل قبيل الغروب ، فلما وصلت إلى مكان مرتفع منه كانت الشمس قد غابت . ثم وجدت أنها ضلت الطريق وأصبحت محاطة بحفائر مكدسة بالثلج بحيث لا تستطيع العودة ولا الاستمرار في المشي .

وحاولت عبثاً أن تجد لها منفذاً ، فرأت من المستحيل أن تتقدم أو تتأخر أو تعلو أو تهبط فاستغاثت بأعلى صوتها ، ولكنها لم تسمع غير صدى صوتها فأخرجت من جيب معطفها مسدساً وأطلقته ولكنها لم تسمع غير دوي الطلقات ، فخارت

المجاهد العظيم في هذه المناسبة العظيمة ؟

ألا يقتضينا الولاء قبل الإنصاف أن نسجل للرسالة هذا الفخر الفاخر بكلمة تكتب أو كلمة تقال ؟

إني أقترح على راعي هذه المجلة العظيم الأستاذ الزيات بك أن يخرج من العدد الألفي عدداً ممتازاً ..

وإني أدعو أدباء العربية أن يتبادروا المشاركة في هذه المأثرة الأدبية النادرة — تحية الرسالة بمناسبة عددها الألفي !

محمد الأسمر فاروط

قواها وجلست على صخرة بعد أن أزالت ما عليها من الجليد وظلت تبكي .

وبعد ربع ساعة مر عن كثب منها رجل يصفر فنادته وكلمته بلهجة لم تتكلم بها منذ سنوات وهي لهجة التوسل والضراعة، وطلبت إليه أن ينقذها فمشى نحوها رافعاً قبعته محيياً باحترام . وعرض عليها مساعدته فشكرته شكر الضارع الخاضع ورأت من ثيابه ومن الأسلحة التي يحملها أنه من هواة الرياضة والصيد . ودلتها هيئته على القوة والإعجاب .

قال لها : « اسمحي لي أن أحملك »

فقالت : « أخشى أن أسبب لك تعباً كثيراً »

قال : « لادعي إلى مثل هذا القول »

ثم حمل البارونة بين يديه فشعرت وهي محمولة بشعور غريب لم تجربه من قبل . وكانت أنفاسه الحارة تدفئ خديها فتساءل نفسها أي شعور هو الذي تجده في نفسها في هذا الوقت ، هل هو الحب ؟

فلما وصل بها إلى الفندق الذي تقيم فيه شكرته ودعته إلى زيارتها ووعدها بأن يرافقها في فرصة أخرى إلى جبال التيرول .. وسألته عن اسمه فقال إنه فرديك فون فاردورف

قالت : « أنت ذلك الروسي الشهير ؟ لقد سمعت اسمك يتردد كثيراً في الأوساط العالية »

فأخبرها فاردوروف بأنه من أسرة ألمانية تنتمي إلى أصل روسي ، وأن ضياعه في كورتلاند ولكنه لم يزرها منذ سنوات لأنه كان في العهد الأخير يزور بقاعاً مختلفة من الأرض

وفي اليوم التالي زارها فاردوروف ودار الحديث عن زياراته لأمريكا الجنوبية وإفريقيا الشمالية وقرأ لها قصة أو قصتين من قصص إيفان ترجنيف . وكانت تصغي إلى حديثه متلذذة وتدعوه إلى تكرار زياراته فكررها . وسارت بعد ذلك تخرج معه إلى جبال التيرول وإلى غيرها من المتنزهات وتدعوه لتناول العشاء كل ليلة فأخذ الناس يتحدثون عن علاقتهما وعن احتمال زواجهما قبل أن يتم التفاهم على شيء من ذلك

وفي ليلة من الليالي كانا جالسين معاً في المنزل فقالت إديل « إننا سنفترق سريعاً يا فاردوروف » فقال : « لماذا ؟ »

قالت : « لأنني تغيبت عن منزلي طويلا وأريد العودة ، فهل تزورني هناك ؟ » فقال : « ما الذي تعنين ؟ هل تحبين ألا أزورك ؟ »

قالت : « ما الذي تعنيه أنت ؟ إنني أنا ثر كثيرا إذا ابتعدت عنك » فقال الروسي بلسان متلعثم : « هل تسمحين ؟ . . . ألا يغضبك . . . ؟ »

قالت : « تكلم ! ما الذي يمنعك من الكلام » فقال : « إنني أحبك يا إديل »

فأطالت البارونة التحديق في وجهه فقال : « لا تمنعيني عن الكلام حتى أقول كل ما أريد »

قالت : (ولكنني لم أعد أومن بالحب) فقال الروسي : (أعرف ذلك ولم أعال نفسي قط بأنك ستجازينني على حبي بمثله ولكنك قلت لي مراراً إنك تعيشين بغير غرض ولا تسرين من أي بواعث السرور فعيشي معي زوجة لي وأنا الكفيل بأن ينشأ في قلبك ميل لي بعد الزواج)

فنظرت إديل نظرة شاردة من النافذة دون أن تجيبه بأي جواب وسكت الروسي لحظة ثم قال : (قولي ياسيدتي بكلمة منك إما حياتي وإما موتي)

فأجابته وهي تبتسم : (الحياة أو الموت ؟)

قال : (نعم إنني أعني ما أقول فإني أفضل الموت إذا لم تحبيني .. فقالت المرأة التي لا قلب لها : (هذا مجرد تعبير)

قال : (كلا ولكنه الحقيقة فاختاري لي الحياة أو الموت) فقالت (إنني سأعطيك مهلة عام فإذا لم تستطع في خلالها إقناعي بأنك تحبني حقيقة واذا لم تستطع أن تبعث في نفسي عاطفة الحب نحوك فإني سأقضي عليك بأن تقتل نفسك)

قالت ذلك ثم بدأت تضحك ضحكا عاليا فقال الروسي وهو عابس مقطب : (اذا حكمت بعد انقضاء العام بأنه لا أمل في الحياة معك فإني أفعل كما تريدين ولكن يكون لي عندك رجاء آخر)

قالت : « ما هو ؟ » فقال : « أن تقتليني أنت »

قالت . « لك ذلك » فقال : « ولكن هل تستطيعين ؟ »

فقالت « ولم لا ؟ إنه يستوي عندي أنا أن تقتل عندي نفسك من أجلي أو أن أقتلك بيدي » فقال الروسي : « إذن فعاهديني على

أنه بعد انقضاء العام إما أن تقتلني أو تتزوجي مني »

قالت : « أعاهدك على ذلك ولكن يجب أن تتذكر أنت أيضاً تعهدك عند انقضاء العام وألا تنتظر مني رحمة »

فقال: «لاوسط بين الحالتين فإما أن تكوني لي وإما أن أموت»

ومد كلاهما يده إلى الآخر فتعاهدا على ذلك

ومضى العام وهما يعيشان معاً في منزلهما بفينا وكان الليل ساجياً من ليالي الربيع الجميلة وهي جالسة على شرفة بجانب الشرفة وهو جالس عند قدميها فقالت : (هل نسيت ؟)

قال : (نسيت ماذا ؟) فقالت : (هل نسيت عهدنا ؟ إن اليوم موعده) فمرت جسم الرومي رعشة باردة وقالت له همساً : (أدن مني وأخبرني ما هو رأيك اليوم في تعهدك قبل أن تسمع حكمي)

قال : (إنني أرتعش ...) فقالت : (إذن فاسمع الحكم : (إنك قد أقنعتني بأنك تحبني فليس عندي شك في ذلك ...)

وهنا ارتمى الرومي على قدميها ليقبلهما فقالت : (لاتتسرع فإنك لم تسمع بقية الحكم)

فقال : ما الذي تعنين ؟ فقالت : (إنك أقنعتني بأنك تحبني ولكنك لم تستطع أن تجعلني أحبك)

قال : (ما أشد قسوتك يا إديل !)

فقالت : « إنني أكلمك كلاما صريحا شريفاً »

قال الرومي : « أنا عند حكمك إذن فاقتليني »

فقالت : «هكذا سأفعل فاني ذاكرة عهدي. وروحك الآن في يدي ولن أتركها هبة لك. إنني لاأحب ولكنني أريد أن أكون محبوبة وأن يحبني من يحبني فيموت تحت قدمي وأنا أنظر إليه نظرة احتقار »

قال : « هل تجدين فيما تقولين ؟ » فقالت (ألا تصدق ؟ هل حبك لنفسك أكثر من حبك لي ؟)

قال : (كلا كلا : وإني مستعد للموت) فقامت وعادت وفي يدها زجاجة صغيرة مملوءة بسائل أسود وقالت : (اشرب هذا) .

فتناولها وقال : أشرب في حبك يا إديل ثم قال : (ناوليني يدك فإن قواي تخونني) .

ثم أظلمت الدنيا في عينيه . وبعد ساعتين أفاق فوجد رأسه على حجرها وهي تنظر إليه وعلى وجهها ابتسامة دالة على السعادة

قال : (ما الذي حدث ؟) فناداته باسمة بصوت عذب فقال: (هل أنا أحلم الآن ؟ ألم أمت ؟)

قالت : (كلا وستعيش وستكون لي زوجا فإني أحبك كما تحبني) فقال . (وماذا كان السائل الأسود الذي في الزجاجة ؟ ألم يكن سما ؟)

قالت (كلا ، ولكنه مخدر) فقال : (لماذا ؟)

قالت : (لكي أجربك) فوقف الرومي مسرعا وقال: تقولين إنك تحبينني؛ ولكنك مع ذلك تتركينني أقاسي أشد الآلام بقصد اللهو والتسلية. إن المرأة التي تفعل ذلك لاتستطيع أن تملك قلبي)

قالت إديل بصوت الخائف : (ألم تعد تحبني يا فاردورف ؟ ما الذي جعلك تتغير هذا التغير الفجائي؟ ألم تعد تحبني ؟) فقال : (إنني لا أحبك الآن ولن أحبك في المستقبل ، وداعاً !)

فطوقت إديل عنقه بذراعيها وقالت . (أستحلفك بحق السماء ألا تجعلني أتعس إنسانة في الوجود) فقال : (أنت التي أتعستني وأتعست نفسك . وداعاً)

قال ذلك ثم تخلص منها فارتمت على قدميه ولكن ذلك لم يفد وأظهر قوة إرادته فخرج مغضبا

ولما جاءت الخادمة وجدت إديل مستلقية على الأرض جثة هامدة

ع . ه

لجنة النشر للجامعيين تقدم

في ثوب أنيق وطباعة ممتازة

ديوانا من شعر الأداء النفسي

وحدي مع الأيام

الشاعرة البدعة

الآنسة فروى طوقان

يطلب من مكتبة مصر بالفجالة ومن جميع المكتبات الشهيرة

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق ثقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة